الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران2 * محمد بن أحمد*

البيئة والإنحراف

(دراسة ميدانية للمهاجرين الغير الشرعيين في الجزائر)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأرطفونيا

تخصص علم اجتماع الانحراف والجريمة

إعداد الطالبين:

- بن يعقوب يونس
- بسبع سفيان

إشراف الأستاذة:

د.بلقاسمي

الأستاذ	الجامعة	الصفة
د.بلقاسمي	جامعة وهران 2	مؤطرا
أ. براني	جامعة وهران 2	مناقشا
أ. حجيج	جامعة وهران 2	مناقشا

السنة الدراسية: 2021/2020

الشكر

إذا كان الإهداء يعبر ولو بجزء من الوفاء فالإهداء إلى من علمني العطاء بدون أفكار.

إلى من احمل اسمه بكل افتخار،إلى رمز الهيبة والوقار،

إلى القلوب الطاهرة والرقيقة، والنفوس البريئة إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، عائلتي

إلى كل زملائي وزميلاتي وصديقاتي،

إلى كل من عرفهم قلبي ونسيهم قلمي إليكم اهدي قطاف عملي.

الاهداء

.

و ثواب الذي مهما قلت فيه فلن أوافيه ومهما وصفته فلن أوكافيه

إلى من رباني على الفضيلة والأخلاق

له و اسكنه فسيح جناته .

اهدي هذا العمل المتواضع إلى اقرب الناس إلي وأعزهم إخوتي وأخواتي وأبنائهم.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يدونهم قلمي إليكم اهدي ثمرة جهدي.

مقدمة عامة

إن ظاهرة الهجرة غير الشرعية قد بصحبها مجموعة من التغيرات و أبعادها كثيرة تنطلق من تحولات تبدأ من البلدان المصدرة لفئة المهاجرين غير الشرعيين لتصل إلى البلدان المستقبلة لهم و تتمثل تلك التحولات في حالة من التغير الاجتماعي في ديناميكيات المجتمعات التي تستقر فيها هذه الجماعات و الهجرة بمفهومها العام« تعني دخول الناس إلى بلد آخر للاستقرار فيه و هي عملية انتقال الناس و ارتحالهم من مواطنهم للاستقرار في بلد آخر».[1]

ومما لاشك فيه أنها ظاهرة اجتماعية معقدة تدخل في تركيبتها مجموعة حصر لها من الأسباب و الظروف و العوامل و الأبعاد و من نتائجها خلق ما يسمى في علم الاجتماع بالجماعات الاثنية و مصطلح «الاثنية يشير إلى مجمل الممارسات الثقافية و النظرة التي تمارسها أو تعتنقها جماعة من الناس و يتميزون بها عن الجماعات الأخرى»[2]

فالمهاجر الإفريقي القادم من جنوب القارة إلى شمالها لديه خصائصه و ثقافته و نمط حياته الخاص به ناهيك عن مميزات أخرى خاصة بعرقه و في مرحلة وصوله إلى البلد المستقبل أو المضيف فان هذا المغترب يحاول التأقلم مع بيئة جديدة مختلفة في جوانب كثيرة عن بيئته الأصلية« فالإنسان يعيش في بيئة من الناس و الأشياء و هو يسعى فيها و يكد للظفر بطعامه و كسائه و مأواه و لإرضاء حاجياته المادية و المعنوية المختلفة و لبلوغ أهداف يرسمها لنفسه و يراها جديرة بما يبدله في سبيلها من مشقة و عناء و هو في سعيه هذا لقضاء حاجياته و تحقيق أغراضه يلقى عقبات و موانع و مشاكل و صعوبات مادية و اجتماعية شتى و يجد نفسه على الدوام مضطرا إلى التوفيق بين مطالبه و إمكانيات البيئة».[3] ومن خلال هذا يظهر التأثير الذي تمارسه البيئة على هؤلاء المغتربين فهذه الأخيرة لها خصائصها الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية المختلفة عما ألفته جماعات المهاجرين غير الشرعيين و التي تتباين عناصر البيئة بتباين و تنوع المجتمعات و بالتالي فان تأقلم هؤلاء المغتربين مع هذه البيئة قد يضمن لهم الوصول إلى ما يسعون إليه لكن هذه البيئة الجديدة تفرض عليهم بعض خصائصها و التي لا تتماشى في كل الأحوال مع أهدافهم تطلعاتهم الاجتماعية فتتنوع أفعالهم الاجتماعية من شخص لآخر و من جماعة لأخرى حيث إن الأفعال الاجتماعية هي أنماط و سلوكات ذات معاني و

---

[1]-أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيرد سال،علم اجتماع مع مدخلات عربية ،ترجمة فايز الصياغ ص 3//232

[2]-نفس المرجع السابق ، ص 2/312

[3]- احمد عزت رابح ،أصول علم النفس ص4

تقودها دوافع و السلوك هنا نعني به« ذلك التصرف الذي يقوم به الفرد وفق ما يرضيه و ما يرضي المجتمع كي يحقق السعادة لذاته و تلعب هنا عملية التكيف الاجتماعي دورا في رسم معالم هذا التصرف عندما يقوم المجتمع بوضع مقاييس للسلوك المفترض و تتولى عملية التكيف هذه تطبع الإنسان وفق هذه المقاييس»[1]

ومن خلال هذا تظهر أهمية التكيف في توجيه سلوك الإنسان المرهون بها أما بالنسبة للدافع« فهو حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة و تواصله حتى ينتمي إلى غاية معينة».[1] فالأفعال الاجتماعية هنا هي تلك السلوكات الهادفة و التي توجهها دوافع و غايات و الافتراض هنا هو إن للبيئة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية تأثير واضح على سلوكات هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين و يظهر ذلك التأثير في بعض الانحرافات لديهم حيث إن الانحراف هو سلوك قد توجهه أهداف و قد يأتي كرد فعل أو كمحاولة للتأقلم مع البيئة المتصلبة بالنسبة لهؤلاء المهاجرين

-و مما لا شك فيه إن العوامل الاجتماعية في البيئة الجديدة لها تأثير مباشر على المهاجر المغترب الذي يسعى للتكيف و فرض مكانة اجتماعية و سياسية و دينية في مجتمع آخر له قواعده و أساليب الانخراط فيه قد تكون غير تلك التي يعتقدها هذا المهاجر خاصة و إن لكل مجتمع سلم اجتماعي و نظرة للغير تغذيها أفكار و قيم و تجارب قبلية متوارثة من أجيال سابقة فنظرة المجتمع ككل لغيره من المجتمعات ليست وليدة العدم و إنما هي موروث ثقافي و صور نمطية قد لا تكون دائما في صالح هذا المهاجر الإفريقي القادم من جنوب و وسط القارة إلى شمالها خاصة و انه جاء من مجتمع هو الآخر له مميزاته على كافة الأصعدة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و التي تختلف عن خصائص المجتمع المستقبلي و البيئة الثقافية أيضا تمثل تحدي بالنسبة لهذا المهاجر غير الشرعي فالانتقال من مجتمع له طبع ثقافي خاص به إلى آخر مختلف عنه تماما من عدة نواحي أهمها نمط الحياة و اللغة و القيم الثقافية المختلفة كلها عناصر تمثل حواجز بين هذا المهاجر و ما يسعى إليه وهذا دون إن ننسى دور البيئة الاقتصادية و تأثيرها عليه فاختلاف نمط الحياة الاجتماعية قد يعني في غالب الأحيان اختلاف نمط الحياة الاقتصادية و صعوبة التكيف مع البيئة

[1]-مامون طربية ، السلوك الاجتماعي للفرد ، ص 11

الاجتماعية و الثقافية من شانه خلق مشاكل و عدم مرونة في التأقلم مع البيئة الاقتصادية و هذا التصلب قد يكون دافعا و سببا في اتجاه سلوك المهاجر غير الشرعي نحو الانحراف حيث إن تأثير البيئة الجديدة على المهاجر بالاتحاد مع عوامل أخرى مرتبطة «بما يصحب الهجرة غير الشرعية من ظروف قد تكون قاسية و من تجارب مؤثرة على الجانب الداخلي و السيكولوجي للفرد و تسبب مشاكل كالإحباط من شانها التأثير على السلوك حيث إن هذا الأخير يعرف على انه الأنشطة المتعددة التي يقوم بها الإنسان في حياته و ذلك لكي يتكيف مع متطلبات البيئة و الحياة المحيطة به بمعنى هذا إن السلوك هو ممارسات يكون الغرض منها إشباع و تحقيق الحاجات ».[1]إذن فالانحراف هنا وليد صراع بين متطلبات الفرد وإمكانياته المحدودة والمنعدمة أحيانا وما تفرضه البيئة عليه و العلاقة صراعية و من نتائج هذا الصراع بين المغترب و البيئة الجديدة أنماط سلوك تعتبر انحرافات بالنسبة لقيم المجتمع المستقبل أما بالنسبة لهذا المغترب قد تكون هذه السلوكات ميكانيزمات لمحاولة التأقلم أو ردود أفعال نتيجة لما يواجهه في هذه البيئة الجديدة التي يمكن تسميتها بالمؤثرات الخارجية أو العوامل المحيطية والتي تؤثر على سلوك المغترب الذي يظهر على شكل انحرافات و التي قد تتلخص عواملها و دوافعها في تفاعل بين عوامل داخلية مرتبطة بسيكولوجية الفرد (كالإحباط الإحساس بالقهر ...الخ).

[1]- مأمون طربية ،السلوك الاجتماعي في الجماعات غير المنظمة ،ص7

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي للدراسة

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسات سابقة تخدم موضوعنا ما عادا مساهمات مدرسة شيكاغو حيث تناولت هذه المدرسة إشكالية الوفود المهاجرة في ثلاثينيات القرن الماضي و قد شرع كل من وليام توماس و فلوريان زنانيكي في نشر دراستهما المشتركة "الفلاح البولوني في اروبا و أمريكا "و «هي عبارة عن (مونوغرافيا جماعة مهاجرة) و تتطرق هذه الدراسة التي تم نشرها في خمسة أجزاء برعاية زنانيكي ما بين الفترة الممتدة 1918الى 1920 لوضعية الفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي ثم وضعيتهم بعد هجرتهم لأمريكا،و محاولة التعرف على نمط عيشهم في بولونيا ثم ما طرا من تغيير على نمط العيش هذا بعد هجرتهم إلى أمريكا »[1] و ترصد الدراسة أيضا أنماط التفاعل و علاقة هؤلاء البولونيين مع المهاجرين الآخرين و أيضا مدى قدرتهم على الاندماج و الانصهار و قد اعتمد كل من وليام توماس و فلوريان زنانيكي على تقنية دراسة الحالة و التي تعتمد على المنهج البيوغرافي و تقنية تحليل المضمون ،لذلك فان الاعتماد على هذه الدراسة تعتبر نموذجا جد ملائم للأخذ به كمرجع و دراسة سابقة كونها اهتمت بجوانب متعددة انطلاقا من أنماط العيش و من تم سلوك المهاجرين ووصولا إلى قابلية التكيف وكل هذه العناصر هي أوجه تشابه رئيسية و مشتركة مع موضوع الدراسة التي نحاول التطرق إليها و إن كان هنالك بعض الاختلافات الثانوية فنحن ندرس فئة اجتماعية تمثل أقلية مهاجرة و نحاول معرفة سلوكها داخل مجتمع جديد و تأثير البيئة الجديدة على قابلية التكيف بالنسبة لهذه الفئة (جماعة المهاجرين غير الشرعيين القادمين من مالي و غامبيا و غينيا الاستوائية).

1/ عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة ،ص 97

أسباب اختيار الموضوع :

إن البحث العلمي ينطلق من خلال ملاحظة الباحث لظاهرة اجتماعية تثير فضوله من خلال مجموعة تساؤلات يسعى بناءا عليها لاكتشاف خلفيات متعلقة بموضوعه ،ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار موضوع تصلب البيئة و تأثيرها على انحراف فئة المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين (غامبيا، مالي ،غينيا الاستوائية) مايلي :

1/عوامل و أسباب موضوعية :

- قلة الدراسات المتعلقة بدراسة انحراف فئة المهاجرين الأفارقة و أيضا تأثير البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية على سلوكات الأفراد في المجتمع.
- محاولة فهم ظاهرة الانحراف و مظاهرها لدى الجماعات الاثنية .

2/أسباب و عوامل ذاتية :

- اهتمام شخصي بفئة المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين من خلال مجموعة علاقات في محيط العمل مما شكل فضول للقيام بهذه الدراسة.
- التجربة الشخصية و الخبرة التي تكونت لدينا والتي تسهل عمليات التواصل و أيضا الحصول على معلومات أكثر دقة .
- محيط الدراسة قريب قريب من مقر الإقامة مما يسهل عمليات البحث الميداني.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في معرفة الأسباب الكامنة خلق ظاهرة انحراف المهاجرين الأفارقة في المجتمع المحلي باعتبار هذه جماعات الاثنية تشكل موضوع دراسة مهم في ميدان السوسيولوجيا و التي يسعى روادها في مختلف البلدان إلى فهم و تفسير التحولات الاجتماعية و أنماط سلوكات الجماعات داخل إطار المجتمع العام ،كما أن دراسة فئة المهاجرين الأفارقة و سلوكاتهم الانحرافية يعطينا قابلية لفهم ظاهرة معقدة أخرى و هي ظاهرة الهجرة غير الشرعية و ما تحدثه من تغيرات اجتماعية وسوسيو ثقافية و اقتصادية في سيرورة المجتمعات فدراسة الظواهر الاجتماعية من الجزء إلى الكل من شانه فك التعقيد و الغموض و دراسة تأثير البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية على سلوكات

هؤلاء المهاجرين من شانه تسليط الضوء على تأثير ظاهرة الهجرة غير الشرعية بصفة عامة على فئة المهاجرين غير الشرعيين و أيضا إبراز جوانب أخرى لتأثيرها على المجتمع في البلد المستقبل و المستقطب للمهاجرين غير الشرعيين.

الأهمية العلمية:

تكمن الأهمية العلمية للموضوع في فهم و تفسير السلوكات الانحرافية للفئات التي تعيش ضمن هامش المجتمع من منطلق أنها تواجه صعوبات في التأقلم مع الوسط الاجتماعي الجديد أو أنها تسعى لبسط هيمنتها و نفوذها و وجودها ضمن مجتمع جديد من ناحية بناءه و تركيباته الاجتماعية و التي قد تختلف عن بلد المنشأ

الأهمية العملية:

تكمن الأهمية العملية للموضوع كون أن هذه الدراسة موضوع جديد و غير مكرر يرتبط بواقع الانحرافات السلوكية لفئة المهاجرين ضمن حيز الجغرافي و مجتمع جديد و يعتبر هذا تشجيعا للطلبة حتى يتناولوا مثل هكذا ظواهر مرتبطة بالجماعات و الأقليات الاثنية داخل مجتمع لفهمها ووصف الظواهر السوسولوجية المتعلقة بها .

أهداف الموضوع: تتمثل الأهداف الرئيسية للموضوع فيما يلي :

- فهم علاقة التأثير و التأثر بين تصلب البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و سلوكات هذه الفئة (مهاجري غامبيا ،مالي ،غينيا الاستوائية)الانحرافية .
- تفسير ذلك التأثير الذي ينتج عن الإقصاء الاجتماعي و الذي يقرضه المجتمع المحلي العام على تلك الفئة و كيف قد تتحول ردود فعلها المتمثلة في أشكال جنوح و تمرد إلى انحرافات.
- فهم تصورات تلك الفئة النمطية حول المجتمع المحلي و كيف لتلك التصورات أن تدفعهم للانحراف .
- تغيير أنماط و سلوكات التفاعل السلبي بناءا على الواقع المعيشي و كيف لهذا الأخير (الواقع المعيشي) أن يؤثر على سلوكياتهم .

اشكالية الموضوع :

إن الظواهر الاجتماعية متداخلة فيما بينها و كل ظاهرة تمثل مجالا واسعا و مفتوحا للدراسات و الأبحاث السوسيولوجية المتنوعة و أن كل ظاهرة اجتماعية شاملة من شانها أن تتسبب في خلق و توليد ظواهر اجتماعية أخرى فظاهرة الهجرة غير الشرعية مثلا هي مجال واسع للبحث العلمية وهي ظاهرة معقدة تدخل في تركيبها مجموعة عوامل متنوعة ، مما لا شك فيه أنها تهدد امن و استقرار البلدان و تأثر في الأنظمة الاجتماعية ، و من نتائج هذه الظاهرة استقرار فئات بطريقة غير شرعية داخل مجتمعات مختلفة و في إطار تفاعل هذه الفئات مع المجتمع الجديد فإنها تواجه صعوبات في التأقلم و ينتج نوع من الصراع بين بيئة اجتماعية و اقتصادية و ثقافية و بين أفراد يعيشون على هامش المجتمع الذي قد يكون مختلفا تماما عما عهدوه سابقا في مواطنهم الأصلية وهنا تظهر أنماط سلوكية انحرافية تتعارض مع قيم و أعراف و قوانين هذا المجتمع الجديد الذي يستقرون في حديثا و بناءا على هذا نطرح التساؤل التالي :

-هل لتصلب البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية علاقة بانحراف المهاجرين غير الشرعيين القادمين من (مالي ، غامبيا ، غينيا الاستوائية) ؟

الفرضيات :

1/ الوصم الاجتماعي عامل من العوامل المؤدية إلى انحراف المهاجرين غير الشرعيين.

2/ الصراع الثقافي قد يؤدي إلى انحراف هذه الفئة .

3/ التهميش الاجتماعي و الأوضاع المتذبذبة يمكن أن تؤدي إلى الانحراف .

المنهجية:

اعتمدنا خلال هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي و ذلك لوصف الظاهرة و تحليل المعطيات التي قمنا بجمعها عند نزولنا إلى ميدان البحث بمنطقة (حي اللوز ليزاموندي وكوكا) حيث تتموقع هذه الفئة معتمدين في ذلك على دليل المقابلة ،و ذلك باختيار 10 حالات مقصودة و معينة من بين المهاجرين غير الشرعيين ،من البلدان التالية (مالي و غامبيا وغينيا الاستوائية) ، كنا نلتقي بها بين الحين و الآخر لمدة شهر تقريبا(مساءا) ، في ميادين عملهم (البناء) بمنطقة حي اللوز ، معتمدين في ذلك على دليل المقابلة .

كما قمنا بتقسيم الموضوع إلى أربعة فصول :

الفصل الاول:

الاطارالمفاهيمي للبحث و المتغيرات التي انطلقت منها دراستنا أما الفصل الأول فهو تحت عنوان (من الفعل الاجتماعي إلى الانحراف) و قد تضمن مجموعة من الدراسات التي عالجت هذا السياق أهمها ما جاء بها "بارسونز و ماكس فيبر و بورديو"

اما الفصل الثاني:

فتطرقنا فيه إلى من الفعل الاجتماعي إلى الانحراف عند ماكس فيبير وبارسونز وبيار بورديو

واما الفص الثالث

فقد تناولنا أهم النظريات التي قامت بتفسير السلوك الانحرافي و التي اهتمت بهذا الجانب أهمها (النظرية اللامعيارية في تفسير السلوك الإجرامي عند دوركايم و النظرية الاقتصادية في تفسير السلوك الانحرافي بالإضافة إلى نظرية الوصم الاجتماعي عند بيكر و نظرية الصراع و صراع الثقافات و الثقافة الفرعية و المدرسة السلوكية الاجتماعية و نظرية الإحباط)

أما الفصل الرابع و الذي يمكن تسميته بالجانب التطبيقي أو الميداني و الذي يحتوي على مجموعة من الأسئلة التي قمنا بطرحها على الحالات التي بين أيدينا خلال مقابلتنا بالإضافة إلى تحليلها و استخلاص بعض النتائج .

المفاهيم الرئيسية:

تمهيد: يتضمن بحثنا مجموعة من المفاهيم و المصطلحات و الكلمات المفتاحية التي من شانها تحديد السياق و ما يتضمنه فحوى البحث و الدراسة ،بشكل مبسط ووصف للموضوع بطريقة أفضل.

تعريف البيئة:-يذكر في معجم المعاني أن البيئة اسم و أنها تعني المنزل أو الحال أو المكان الرحب الواسع ،و الاسم المنسوب منها بيئي .وهي مجموعة من العناصر الطبيعية و الصناعية التي تحيط بالكائنات الحية و تشكل محيطها الطبيعي الذي تعيش فيه .[1]

مفهوم البيئة:هي مجموعة من العوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر في نمو الكائن و نشاطه منذ بداية تكوينه إلى أخر حياته و البيئة أما مادية فيزيقية أو اجتماعية .[2]

البيئة الاجتماعية:هي تلك البيئة التي تشمل تلك النظم و القيم و المعايير و الأعراف و العلاقات الاجتماعية و اللغة و الدين و الأوضاع الاقتصادية و النظم السياسية و التعليم و الإعلام و الفنون و الآداب و الظروف الصحية و جميع عوامل البيئة مترابطة مع بعضها البعض و مؤثرة في الإنسان و تتأثر به[3].

1/معجم كنز الطالب،ص 62

2/احمد عزت ،مرجع سابق، ص 13

3/عبد الرحمن محمد عيسوي ،علم النفس البيئي، ص 15

البيئة الثقافية: هي جزء من البيئة الاجتماعية ،و الثقافة هي انجازات الإنسان الذي استطاع أن يخلق بيئة مغايرة للبيئة الطبيعية في محاولته الدائمة للسيطرة عليها و خلق الظروف الملائمة لوجوده و استمراره وهذه البيئة المصنوعة هي لبيئة الثقافية و تشمل المعرفة و العقائد و الفن و القانون و الأخلاق و العرف و كل العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع.[1]

تعريف التصلب:

"تصلب، تصلبا": الطين صار صلبا

أي أن الشيء :تشد و تقوى و تشبت و تمسك و فقد مرونته»[2]

« و يشير مفهوم التصلب إلى العجز النسبي عن تغيير الفرد لتصرفاته و اتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية لذلك» [3]

الجماعة الاثنية

-يستخدم هذا اللفظ ليشير إلى جماعة بشرية يشترك أفرادها في اللغة و الدين و العادات و التقاليد و سمات أخرى مشتركة بما في ذلك الأصل و الملامح الفيزيقية الجسمانية و لكنها تعيش في نفس الدولة أو المجتمع مع جماعات أخرى تختلف عنها في إحدى هذه السمات.[4]

الانحراف : يشير الانحراف إلى السلوكيات و التصرفات و التوجهات و المعتقدات و الأنماط التي تكسر قواعد و أعراف و أخلاقيات و توقعات أي مجتمع .و في مقابل التفسيرات البيولوجية و السيكولولوجية و الفردية الوضعية التي ترى الانحراف باعتباره شيئا متأصلا في أنواع معينة من التصرفات أو الأشخاص[5].

1/عاصم الحناوي، قضايا البيئة الأساسية ،ص 97

2/ مرشد الطلاب قاموس مدرسي عربي، ص 74

3/ يوسف بن صالح احمد الغامدي، النمو الأخلاقي و علاقته بسمة التصلب ،ص 33

4/سعد الدين إبراهيم ،الملل و النحل و الأعراق في الوطن العربي ،ص 315

5/ جون سكوت ، علم الاجتماع المفاهيم الاساسية ، ترجمة محمد عثمان ، ص 59

الهجرة غير الشرعية:هي الانتقال أو الحركة من مكان إلى آخر أو دولة أجنبية بقصد الإقامة فيها دون الحصول على الموافقة من قبل الدولة المستقبلة.

المهاجرين غير الشرعيين: وهم الأفراد آو الجماعة العابرة للحدود خارج ما يسمح به القانون1.

تعقيب عام:

إن تحديد المفاهيم الأساسية و شرحها بناءا على المصادر علمية موثوقة هو عامل مهم من شانه إنجاح البحث العلمي و إثراءه و من خلال ما سبق فإننا قد قمنا بتحديد مجموعة مفاهيم في إطار شرحها و تفسيرها لإضافة كمالية للموضوع الذي ندرسه ومن بين تلك المفاهيم تطرقنا إلى مفهوم البيئة كونها تمثل ذلك الحيز الذي يتفاعل فيه الأفراد مع بعضهم البعض ،و ينتجون فيه أنماط سلوكية مختلفة و متعددة فالبيئة لها تأثير كبير على السلوك .و هي تمثل ابيضا في بيئة اجتماعية تحتوي على مجموعة من العوامل التي تعبر عن الأنماط الاجتماعية و تشمل العلاقات الاجتماعية والقيم و المعايير و ما غالى ذلك ،و هناك بيئة ثقافية تؤثر على النمط الثقافي للفرد اخل مجتمعه فالإنسان يتأثر و يتبنى الثقافات بتنوعها و تعدد اشكالها و أحيانا تكون تلك الثقافات مغايرة للموروث الثقافي داخل المجتمع الذي يتفاعل فيه ويمارس فيه مختلف نشاطاته و هنا ينتج صراع قيمي و هذا ما نحن في صدد تفسيره سوسيولوجيا و هناك البيئة الاقتصادية و هذه الأخيرة أيضا لها تأثير مباشر على الفرد داخل النظام الاجتماعي وهذا ما فسرته الكثير من النظريات في علم الاجتماع بصفة عامة لذلك يعتبر مفهوم البيئة الاقتصادية ثابث و مهما في دراستنا من منطلق التأثير المباشر على ميزانية الفرد فغياب المصادر قد يعني البحث على دينامكيات جديدة من شانها تحسين الوضع الاقتصادي و تلك الوضعيات قد تدفع بالفرد إلى إنتاج أنماط سلوكية مختلفة

1/ بوحادة سارة ، تداعيات الهجرة غير الشرعية على الامن الجزائري ، ص 139

تماما عما يسمح به المجتمع ،وهنا ندخل في مسمى الانحراف الذي يقصد عدم السير وفق المعايير السائدة في المجتمع .

و قد حددنا في موضوعنا أيضا مفهوم التصلب و الذي يعني كل ما هو ضد المرونة ،قد يشير أيضا إلى العجز ،و من خلال ما سبق ذكره فان التصلب البيئي أو تصلب البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية يعني عدم مرونة هذا الأخير (البيئة) وفق ما يحقق تأقلم الإفراد في المجتمع الذي يتفاعلون فيه ،فالبيئة ليست دائما مماثلة لتلك العوامل البسيطة التي تسمح للإفراد بالتأقلم .بل هي أيضا تمثل و تحتوي على عناصر مميزة لها فلكل مجتمع بيئته و لكل بيئة ديناميكياتها و مميزاتها التي منها ما يحقق تطلعات الفرد و منها ما هو عكس ذلك أي عناصر تقاومه و تستفزه و تؤثر فيه تأثير مباشرا .و تطرقنا أيضا إلى مفهوم الجماعات الاثنية ،فتركيبة كل مجتمع قد تتضمن جماعات و أقليات متفرقة و هذه الأقليات قد تكون لها أبعاد تاريخية مرتبطة بظواهر و مسائل شغلت علم الاجتماع من بينها الهجرة غير الشرعية و التي تولد جماعات داخلية على مجتمع الدول المستقبلية و تلك الجماعات تتبنى قيم و معتقدات خاصة بها ،وتشكل صورا نمطية قد تكون مختلفة من جماعة لأخرى و كلها متعلقة بنظرة تلك الجماعات و فكرتها حول المجتمع الجديد التي تحاول حجز مكانة اجتماعية فيه من خلال تفاعلات تتجلى مظاهرها في العمل و المطالبة بالحقوق و التمرد على القوانين و القيم و المعايير و العادات ،و أشكال ذلك التمرد تتمثل في سلوكات انحرافية قد يكون مجالها هامش المجتمع ،فالبحث عن تحقيق أهداف و تطلعات قد يتعارض مع الوسائل المتاحة لذلك و تلك الهامشية تمثل عنصرا مضادا هي ايضا لهذه القليات و حاولنا قدر المستطاع من خلال إطارنا المفاهيمي للدراسة التي نحن في صدد انجازها و التطرق للمجتمع المحلي و الذي يشير في علم الاجتماع إلى مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في الرقعة الجغرافية و يشعرون بالانتماء إلى مجموعة من القيم الاجتماعية و السياسية و الثقافية و التي توحد علاقاتهم و تتحكم في سلوكاتهم و تجعلهم ينظرون إلى كل ما هو مختلف عنهم على انه دخيل و تعطيهم تلك القيم الأفضلية و الأولوية للحكم على سلوكات وتصرفات الآخرين وفق ما ألفوه من قيم و موروثات عقائدية و ثقافية .

الفصل الثاني:

من الفعل الاجتماعي الى الانحراف

تمهيد:

إن الانحرافات ما هي إلا نتائج لأفعال اجتماعية تجسدت في سلوكات متعارضة مع قيم و قواعد المجتمع العام ،ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أبرزها ما يتعلق بمدى وعي و فهم وتفسير ذلك الفاعل لفعله وفق تراكمات و صور نمطية و معاني يتبناها و تؤثر على أفعاله في نطاق المستويين الزمنيين القريب و البعيد ، وهناك عوامل أخرى نابعة من المؤشرات الخارجية التي تتجسد فبطبيعة التأثير الذي تفرضه البيئة بمختلف مستوياتها الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية وعلى أفعال الأفراد ، فالمهاجر الإفريقي القادم من جنوب القارة و وسطها إلى شمالها يقوم بأفعال اجتماعية ناتجة عن اعتبارات شخصية و معاني و دوافع و تتجسد تلك الأفعال في نشاطات و تفاعلات تقودها مقاصد و أهداف و السؤال هنا كيف تتحول تلك المقاصد إلى انحراف ؟ و كيف تؤثر البيئة بمختلف أبعادها "اجتماعية و اقتصادية و ثقافية" على سلوكات المهاجر غير الشرعي ؟ و هل تلك الأفعال الاجتماعية الصادرة عن هذا المهاجر تتعارض منذ البداية مع قيم المجتمع ؟ وما يرفضه المجتمع يوصم عبر مراحل أم أن تلك الأفعال يسودها خلل في التوجيه وفق ما تقتضيه تلك المصلحة الذاتية الغائية دون الانحراف عما يتقبله المجتمع العام ؟ وماهي أسباب عدم مرونة تلك التفاعلات الاجتماعية الصادرة من بعض فئات المجتمع كهؤلاء المهاجرين (غامبيا ، مالي ، غينيا) الذين نحن في صدد دراسة انحرافاتهم مثلا على حساب فئة أخرى.

و هل ذلك مرتبط بالفاعل الاجتماعي و قيمه السوسيوتربوية و تراكماته أم انه مرتبط بالمجتمع العام و مؤثراته التي تتجسد في صراع قيمية و ثقافية من نوع آخر؟ – يعتبر الفعل الاجتماعي من المفاهيم المنتشرة بقوة في علم الاجتماع و علم النفس على حد سواء وهو الأساس في دراسة علم النفس الاجتماعي الذي يتناول كيفية تفاعل الفرد في البيئة وما ينتج عن هذا التفاعل من قيم و عادات و سلوكات انحرافية و لربط هذا المفهوم بالانحراف سنتطرق إلى دراسات نظرية تنطلق من إسهامات ماركس فيبر وبعض من اهتموا بالفعل

الإنساني فبدون فهم هذا الأخير(الفعل الاجتماعي) لن نستطيع فهم السلوك الانحرافي داخل الجماعات و البنى الاجتماعية المختلفة.

1/ الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر:

إن اتجاه الفعل الاجتماعي يعد من ابرز الاتجاهات السيكولوجية النامية في علم الاجتماع و قد اهتم أنصار هذا الاتجاه بتحليل افعل الاجتماعي و الوقوف على دوافعه و أبعاده و موجهاته وآثاره على الفرد و الجماعة .فالسلوكات الانحرافية تقف خلفها دوافع و أسباب و تأتي تزامنا معها نتائج تتجلى صورها في آثار مترتبة عليها تؤثر على البنى الاجتماعية و على الصعيد الفردي أيضا.و يعد ماكس ماكس فيبر من ابرز علماء مدرسة العلاقات في ألمانيا الذين يركزون على دراسة الفعل الاجتماعي و التفاعل و العلاقات الاجتماعية دراسة تحليلية ،«و قد قدم فيبر تعريفا عاما لعلم الاجتماع و هو انه العلم الذي يحاول تحقيق الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي من اجل التوصل إلى التفسير العلمي لمساره و نتائجه و تبنى هذا العالم منهجا معينا لدراسة الأفعال و العلاقات الاجتماعية و هو ما أطلق عليه منهج الفهم و يستهدف هذا المنهج عنده ضمان تحقيق الموضوعية و الحياد العلمي و الابتعاد عن أحكام القيمة في علم الاجتماع و العلوم الاجتماعية ،و يقصد فيبر بمنهج الفهم محاولة تقديم تفسير للأفعال الاجتماعية للناس من خلال التعرف على دوافعهم الداخلية التي تدفعهم إلى القيام بأفعال معينة داخل موقف تاريخي و رمزي معين [1]و من خلال هذا الطرح نستنتج أن التفسير الفيبيري قد تخطى النظرة الدوركايمية التي تعتبر أن أفعال الناس نتيجة للقوى الاجتماعية «فعلم الاجتماع عند فيبر يهتم بدراسة أفعال الأفراد الموجه لبعضهم البعض ، و يمكن النظر إلى تلك الأفعال على أنها مجموعة من الوسائل لتحقيق غايات محددة سواء كانت تلك الغايات ذات فوائد عملية أم أنها تسعى إلى تحقيق بعض القيم العليا ،أو أنها مزيج منهما معا و هذه الأفعال يجب أن تفهم في إطار المعاني التي يخلعها الأفراد عليها،و كان دوركايم أيضا مهتما بالمعاني لكنه اعتبر أن أهم المعاني ذات وجود يتجاوز وجود الأفراد فهي تشكل الضمير الجماعي الذي تجري تنشئة الأفراد تحت ظله »[2]

---

[1]--نبيل السمالوطي ، البناء النظري لعلم الاجتماع ، ص19

[2]- أيان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة محمد حسين غلوم ، ص 62

هكذا يمكننا القول أن كلا العالمين مهتم بالمعاني يبدو أن احدهما ينطلق من الكل الاجتماعي و الآخر ينطلق من الفرد و كلتا النظريتان تتعلقان بدراسة الأفكار و الأفعال وجوهرها دراسة الأشخاص و يتفق معظم المؤطرين في علم الاجتماع أن مفهوم الفعل الاجتماعي من اصغر وحدات التحليل في النظرية السوسيولوجية و من أهمها أيضا فبون فهم الفعل وموجهاته و تحليله لن نستطيع أن نفسر السلوك البشري في المجتمع .والفعل الاجتماعي حسب فيبر يتضمن مايلي :«يجب أن يكون الفعل الاجتماعي ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك
أفراد آخرين في تتابعه حسب ذلك» [1] و الفعل الاجتماعي «بما في ذلك الترك أو التحمل يمكن توجيهه تبعا للسلوك الماضي أو الحاضر أو المستقبلي المتوقع من الآخرين (انتقام لحالات هجوم سابقة أو الدفاع في حال وقوع هجوم راهن أو اتخاذ إجراءات دفاعية تجاه هجمات مستقبلية) و هؤلاء الآخرون يمكن أن يكونوا فرادى و معارف أو عديد من الأشخاص غير محددي العدد و غير معروفين تماما »[2]وبناءا على هدا التعريف الفيبيري ولو حاولنا إسقاطه على موضوعنا فإننا سنفترض أن الفعل الاجتماعي الصادر عن عينة دراستنا (مهاجري غامبيا و مالي و غينيا الاستوائية) يمكن توجيهه تبعا للسلوك الماضي و الحاضر أو المستقبلي المتوقع من الآخرين فقد تأتي أفعالهم الاجتماعية كردود فعل أو ميكانيزمات دفاعية ، و كل ذلك بناءا على توقعات نمطية حول الآخرين تلك التوقعات مصدرها إما تراكمات صادرة من القيم السوسيو لوجية الخاصة بهؤلاء الفاعلين الاجتماعيين أو بناءا على توقعات افترضوها حول الآخرين بناءا على مجموعة مؤثرات تعرضوا لها و استنادا على ما سبق فان ملخص تعريف فيبر للفعل الاجتماعي يتجسد في انه الفعل الذي يحمل معنى و يأخذ فيه الفاعل سواءا كان فرد أو جماعة بعين الاعتبار الآخرين متضمنا توجه هذا الافتراض بان الأفعال الفردية هي ما يتشكل من بناءات و نظم و جماعات و كذلك يتضمن أن حقيقة الواقع الاجتماعي تتجلى في المعاني التي يحملها الفاعلون و إن اكتشاف تلك الحقيقة مرتبط بمحاولة فهمها بالتأويل و الاستنباط و قد صنف فيبر الفعل الاجتماعي إلى أنماط مثالية «يمكن تحديد الفعل الاجتماعي على انه :

1/عقلاني غائي : من خلال توقعات سلوك الأشياء في العالم الخارجي و سلوك

[1]- ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، مراجعة محمد الجوهري ، ص29
[2]- نفس المرجع السابق ، ص 50

الأشخاص الآخرين ،وباستخدام تلك التوقعات بوصفها شروطا أو وسيلة لغايات عقلانية مرجوة و متوقعة بأنها نجاح لصاحبها .

2/عقلاني قيمي: من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصيلة أخلاقية أو جمالية أو دينية ،أو ذات تفسير آخر ،لا غنى عنها لأي سلوك معين بحث و لا علاقة لها بالنجاح.

3/ انفعالي شعوري: خاصة و ذلك بفعل تأثيرات راهنة و حالات شعورية .

4/ تقليدي : من خلال العادة درج عليها الشخص»[1]

و الفعل الاجتماعي المرتبط بغاية يعني به ذلك الفعل الذي يقع لقصد ما و قد يحمل تسميات أخرى كالفعل الغائي أو الذرائعي و في هذا السياق فان الفئة التي ندرسها

مهاجري الجنوب إفريقيا ،غامبيا، مالي، غينيا الاستوائية) يقوم أفرادها بأفعال الهدف منها غايات فالفعل مثلا الغاية منه تحقيق ربح مادي أما الفعل الاجتماعي المرتبط بقيمة فهو ذلك الفعل الذي يقوم به الفرد احتكاما بقيمة اجتماعية موجهة وفق مبادئ دينية أو موروثات ثقافية متعلقة بالعادات و التقاليد و الفرق بين الأفعال القيمية و الأفعال الغائية يكمن في عنصر النجاح و الربح فالأولى المرجو منها تحقيق فائدة مادية و غاية أما الأفعال القيمية فان القيام بها مرتبط باعتقادات و تصورات ،أما الفعل الاجتماعي الانفعالي الشعوري فابرز مثال عنه هو تلك الأفعال الصادرة عن دراستنا مثلا و التي توجهها المشاعر و العواطف وفق مؤثرات أما الأفعال الاجتماعية التقليدية فهي تلك الأفعال التي توجهها أعراف و تقاليد و قيم جماعة ينتمي إليها الفرد و يفترض تناول الفعل الاجتماعي وجود فاعل و من تحليل الفعل نجد انه يشمل أولا الحوافز و تتضمن المستوى الإدراكي و يعني هذا معرفة الفاعل بغايته و البدائل الممكنة لتحقيقها أما بخصوص المستولى الوجداني فهو مؤشر حماسة الفرد و اهتماماته ،أما الجانب القيمي فيعبر عن القيمة و الوزن المرتبط بالفعل و نتائجه و هذه الحوافز الثلاث تحرك ذهن الفاعل فيقدم على الفعل فتؤثر عليه موجهات مقيدة و هي الجزء الثاني من التحليل الفعل إضافة للحوافز التي ذكرناها أعلاها ،فالفاعل ليس مطلق بل عيه قيود الأول هو الموقف الاجتماعي وهذا الموقف يأتي من مكونين احدهما هو الظروف الموضوعية(ما يحيط بالفاعل من مؤشرات بيئية اجتماعية)و أما الثاني فهو ظرف

[1]-ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، مراجعة محمد الجوهري ، ص53/54

الجانب الذاتي للفاعل هذين المكونين يتحدان و يشكلان الموقف الاجتماعي و عندما يتفاعل الموقف الاجتماعي مع المعايير و القيم الثقافية يتوجه الفعل بشكل صحيح و يحقق الغاية .

التعقيب على المبحث:

إن الاستعانة بنموذج ماكس فيبر في تحليل الفعل الاجتماعي في إطار الدراسة المتعلقة بالانحراف من شانه تسهيل مهمة تصنيف الأفعال الاجتماعية وفق ما قدمه هذا الأخير فيبر و أيضا تفسيره للفعل الاجتماعي منطقي بالإضافة إلى هذا فان فيبر كانت له بصمة واضحة في البنائية الوظيفية و مهدت للدراسات التي جاءت بعدها.

2/ الفعل الاجتماعي عند بارسونز:

يعتبر تالكونت بارسونز من أشهر علماء الاجتماع الأمريكيين المعاصرين و قد تأثر بنظرية الفعل الاجتماعي لماكس فيبر و تأثر بعديد من العلماء على غرار مارشال صاحب نظرية المنفعة الحدية و ايميل دوركايم الذي كان له الفضل في تأكيده اعتقاد بارسونز بان علم الاجتماع ينبغي أن يتطور إلى نسق من الفكر واقعه موجود في عمليات الحياة الاجتماعية هذا و تأثر بارسونز بفرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي و باريتو كما اشترك مع عالم النفس هندرسون في مناقشة محاولة باريتو وضع نظرية علم الاجتماع على نمط ميكانيكي و قد عالج بارسونز نظريتان و مترابطتان و هما نظرية الفعل الاجتماعي و نظرية النسق الاجتماعي و " يرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي ما هو إلا نسق معقد من السلوك يمكن تقسيمه إلى أجزاء مختلفة يمكن تحليلها و دراستها في علاقاتها المتبادلة و يحتوي كل نسق من السلوك على الفاعل و الرموز و القيم التي توجهه ,و دراسة أي نسق من السلوك توضح لنا كيف يعمل و يفعل و يؤدي وظيفته "[1]. و هو يرى أن كل فعل اجتماعي يشتمل على ثلاث عناصر و هي: 1/ الفاعل 2/ الموقف 3/ موجهات الفاعل نحو الموقف وسنتطرق في طرحنا إلى كل عنصر منها و نبدأ بالفاعل و هو شخص أو مجموعة أشخاص أو الجماعة التي تمارس نشاطا أو دورا من نوع ما و سياق هذا التعريف يمكننا أن نقول ا ن دور الفاعل يتجسد في أداء الفعل عن طريق استخدامه لفعله و ذاته و أن يتم اتخاذ القرار

[1]-محمد عبد المعبود مرسى ، علم الاجتماع عند تالكوت بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي ، تقديم احمد رأفت عبد الجواد ، ص 7

بصورة واعية تترجم في عدد من التعريفات أو السلوك العقلاني أما الموقف فهو حسي بارسونز" المجال أو دائرة الفعل و يشتمل على عنصرين أو لها الظروف و هي مجموعة بنود الفعل أو وحداته التي يصعب على الفاعل السيطرة عليها أو التحكم في متغيراتها و عناصرها ثم الوسائل و هي وحدات الفعل التي تخضع لسيطرة الفاعل و تكون بحوزته "[1] .إذن فان بارسونز فصل في الموقف من خلال عاملين الظروف المحيطية التي تؤثر في توجيه الفعل طوعا كالبيئة مثلا و عناصرها التي يصعب أحيانا على الفرد السيطرة عليها و جل المتغيرات التي تقع فوق حدود سيطرته أما الوسائل فهي تلك الأساليب و الديناميكيات التي تكون بحوزة الفرد او تحت سيطرته و التي من خلالها يبلغ غاياته أما موجهات الفعل فتنقسم إلى قسمين توجيهات دافعية و أخرى قيمية .

و التوجيهات الدافعية " تتصل بالجانب السيكولوجي للفعل و النواحي الوجدانية و وظيفتها تصريف التوترات و تنقسم إلى ثلاث شعب أولها توجيهات إدراكية و تتعلق بتصور الفاعل و القدرات الأساسية المزود بها و التوجيهات الارضائية و هي بوثقة الانفعالات و العواطف و شتى صور التعبير عن الجانب الوجداني و توجيهات تقييمية و تشمل اهتمامات الفاعل النسبية بالموضوعات و الأشياء التي تكون محل اختيار و انتقاء يتلائم مع مستوى تطلعاته و طموحه أما التوجيهات القيمية فتضم القيم و المعايير الاجتماعية و الثقافية و تقبل الانقسام تحليليا إلى ثلاث فصائل هي:

إدراكية: و الإدراك الثقافي يتميز عن الإدراك العقلي نوعا ما بالنظر إلى طبيعة الموضوعات الثقافية العامة و طريقة اكتسابها و انتشارها.

خلقية: و تشمل كل ما يكون من شانه تحقيق القبول و الرضا و الاستحسان الاجتماعي و الأخلاق جوهر القيم.

استحسانية أو اعجابية: و هي تتصل بالأحكام الجمالية و بتقرير الأشياء و الموضوعات المادية و غير المادية و لا سيما جوانب الثراث و الفن "[2].

[1]-/ محمد عبد المعبود مرسى ، علم الاجتماع عند تالكوت بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي ، تقديم احمد رأفت عبد الجواد ، ص 68

[2]-/ نفس المرجع السابق ، ص 68

و في سياق ما ذكر يمكننا القول أن التوجيهات الدافعية تتضمن مجموعة من الجوانب و التي توجه الفاعلين للقيام بأفعال و سلوكيات تجاه المواقف التي تواجههم و ذلك من اجل إشباع حاجاتهم و متطلباتهم الفردية أو الجمعية النسقية أما التوجيهات القيمية فتعكس عددا من المعايير و القيم التي يؤمن بها الفرد و يعتنقها من خلال مجموعة معتقدات و أعراف.

-"وصنف بارسونز الفعل الاجتماعي إلى 3 أنواع هي:

1/ الفعل التمهيدي (التهيئي):أي التصرف الذي يتجه نحو انجاز هدف أولي لكي يساعد الفاعل على تحقيق هدف اكبر و أثمن من الأول و بتعبير آخر انه تصرف أولي يكون ممهدا للقيام بتصرف أكثر مرادا و أهمية بالنسبة للفاعل.

2/ الفعل التعبيري: أي التصرف الذي يحقق الهدف الأكثر مرادا و ثمنا يأتي بعد تحقيق الفعل التمهيدي.

3/ الفعل المعنوي: أي التصرف الذي يعكس مصالح الفاعل الذاتية و القيمية و الثقافية "[1].

و قد كان ما قدمه بارسونز إطار تصوري في مرحلة معينة من تطور نظريته التي تبلورت صياغتها في نظرية الأنساق و التي يمكن اعتبارها سوسيولوجيا إسهاما في نظرية الفعل الاجتماعي. " و يرى بارسونز أن المجتمع ما هو إلا نسق نهائي يسعى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي بينما كلمة نسق تعني بأنه الكل الذي يتألف من مجموعة أجزاء و الت تتمايز عن بعضها فإنها في الوقت عينه تكون متساندة ، و تمثل مجموع الأجزاء التي يطلق عليها بالأنساق الفرعية "[2].

ومن خلال هذا فان مفهوم بارسونز حول النسق يظهر تأثره بنزعهته نحو العلوم الطبيعية كأنما هذا المصطلح مستعار من ذلك المجال حيث أن بارسونز يتناول مفهوم النسق كونه كل مكون من أجزاء مترابطة فيما بينها و العلاقة بين تلك الأجزاء يمكن وصفها بالاعتمادية نظرا لان كل جزء مكمل للآخر لدرجة عدم استغناء أي جزء عن الآخر فبحسب بارسونز " إذا أخذنا الجسم الإنساني بصفته نظاما فانه يمكن النظر إليه على اعتبار

[1]- محمد عبد المعبود مرسى ، علم الاجتماع عند تالكوت بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي ، تقديم احمد رأفت عبد الجواد ، ص 68
[2]- شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة ص 58

أن لهذا الجسم حاجات محددة و يتكون من عدد من الجزاء المترابطة و التي تعمل من اجل تلبية تلك الحاجات »[1].

« و يرى بارسونز أن انساق الفعل الاجتماعي هي انساق معقدة الأمر الذي يتوجب تقسيمها إلى أخرى فرعية و التي جاءت وفق 4 مستويات هي:1/ النسق السلوكي 2/ النسق الاجتماعي 3/ النسق الثقافي 4/ نسق الشخصية و قد حاول بارسونز أن يضع هذه الأنساق الفرعية لنسق الفعل لكي يضع لها مجموعة من الجوانب التحليلية من خلال عملية التباين بين هذه الأنساق وفق أسس وظيفية فيرى أن النسق الثقافي وظيفته الحفاظ على النمط و أن مهمة التكامل تقع على عاتق النسق الاجتماعي وان تحقيق الهدف يأتي في إطار نسق الشخصية أما عملية التكيف فيسال عنها النسق السلوكي »[2].

تعقيب حول نظرية الفعل الاجتماعي عند بارسونز:

من خلال دراسة و تحليل أطروحات بارسونز نجد انه تأثر بعدة تيارات اصطدم بها و على إثرها قام بصياغة نظرية نموذجية تمحورت في مفهوم الأنساق بالعودة إلى الفعل الاجتماعي عند هذا الأخير (بارسونز) و تحليلها يمكننا أن نستنبط وحدة الفعل الصغرى و التي تتمثل في نموذج متكون من الإنسان كونه الفاعل ويليه نطاق ومجال الأهداف و الغايات و التي على الإنسان الاختيار بينها و ذلك الاختيار لا يتم بناءا على الفراغ و إنما وسط بيئة مكونة من عناصر مختلفة متجسدة في ما هو مادي أو اجتماعي فضلا عن مجموعة من القيم و المعايير و الأفكار النى تؤثر في اختيارنا للوسائل و الأهداف و ذلك التناقض بين الاختيارات و التطلعات مع واقع البيئة و التي تحدد الخيارات المتاحة من شانه تحويل الأفعال من مثالية عقلانية إلى نقيضها و بالتالي ظهور انحرافات و بخصوص تقسيم بارسونز لانساق الفعل فان ذلك ضروري في ميدان التحليل و انساق الفعل اطر مرجعية كبرى تحدد نوع و طبيعة الفعل و لكن مع التسليم بإمكانية التمييز بين انساق الفعل نظريا إلا انه يصعب تجزئة السلوك.

3/ الفعل الاجتماعي عند بيار بورديو:

[1]- أيان كريب ، مرجع سابق ، ص 63

[2]- شحاتة صيام ، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة ص 63

لفهم الفعل الاجتماعي عند بيار بورديو علينا فهم توجهاته التي انطلقت من انتقادات وجهها لأصحاب التوجهات التجريبية الامبريقية الذين يعالجون الظواهر الاجتماعية من جوانبها الخارجية دون الاهتمام بالجوانب الرمزية الداخلية الديناميكية و انتقد أيضا البنيوية الصورية المجردة التي لا تلتفت إلى بعض المضامين الفعلية ومن خلال هذا يتضح أن "بيار بورديو" أولى اهتماما بالجانب الرمزي الذي من شانه التأثير على البناء الاجتماعي و (الهابتوس)« حسب بياربورديو هو نسق من الاستعدادات المكتسبة خلال علاقة بمجال معين يصير فعالا و محدثا أثاره حينما يلتقي بشروط فاعليته المماثلة لتلك التي أنتجته. انه هو الحياة الاجتماعية متجسدة متفردة , وقد تحولت إلى طبيعة ثانية , فهو نظام الاستعدادات للقيام بممارسة معينة , فهو تلقائية مولدة تؤكد نفسها في مواجهة مرتجلة لكل تغير الأوضاع»[1]. ولفهم نظرية الممارسة عند بورديو يجب فهم مصطلح الحقل الاجتماعي و الذي كان سعي بيار بورديو من وراء هذا المفهوم " فهم علائقي لممارسات الإنتاج الثقافي و الفكري عموما . إذا لا يمكن فهم حقيقة اثر ما إلا إذا أعدنا وضعه في نسق العلاقات الاجتماعية الموضوعية لئلا لا ينتزع من مشرو طيته مثلما فعلت الوظيفية أو يقرا من الخارج بمنطق الانعكاس كما فعلت الماركسية "[2].

إذا فالممارسة الاجتماعية ليست فعلا صادرا في الزمن الحاضر بل فعلا موجها من الماضي . فعل تاريخي يقوم به الفرد وفقا لتراكمات و مكتسبات و رأس مال رمزي فتصطدم تلك الأفعال الموجهة بالبنى الاجتماعية و عبر مراحل تكرر تلك الأفعال ومن خلال هذا فان مفهوم الممارسة عند بورديو يركز على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي و هي علاقة يمكن القول عنها أنها تنتهي بان يقوم هؤلاء الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء و يقول بورديو بخصوص نظرية الممارسة " أردت الاصرار على الطاقات التوليدية للاستعدادات و مفهوم أن هذه الاستعدادات مكتسبة متشكلة اجتماعيا ومن السهل أن نرى مبلغ عبثية التصنيف الذي يؤدي بالناس إلى أن يدرجوا تحت البنيوية التي تدمر الذات , مجموعات من الأعمال التي ظلت تسترشد بالرغبة في إعادة إدخال ممارسة الفاعل , إعادة

[1]- بيار بورديو , أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة و السلطة و العنف الرمزي , ترجمة وتقديم إبراهيم فتحي , ص 10
[2]- بيار بورديو و جان كلود باسرون , إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم , ترجمة ماهر تريمش , ص14

إدخال قدرته على الابتكار و الارتجال , لكني أردت التأكيد على هذه القدرة الخلاقة الفعالة الابتكارية ليست قدرة ذات متعالية تندرج في التقاليد المثالية لكنها قدرة فاعل نشط »[1] و في هذا السياق يحاول بورديو الخروجمن قوقعة البنائية الصورية من خلال اهتمامه بالفاعل و رأسماله الرمزي الذي يدفع به إلى التأثير على البنى التي يتفاعل معها من خلال ممارسات اجتماعية تتحكم فيها تراكمات و مكتسبات قبلية من شانها إعطاء هذا الفاعل نوع من القدرة الابتكارية و الخلاقة و التي من شانها التأثير على قدراته و بالتالي يتجاوز قدرة التلقي و الاكتساب العادية النابعة من المكتسبات القبلية كالعادات و التقاليد و هنا تصبح العلاقة بين الفاعل الاجتماعي و البناء ذات طابع التأثير و التأثر.

تعقيب على المبحث:

إذا حسب بوردي وان الفعل الاجتماعي هو فعل موجه من الماضي يؤثر فيه عنصران هما الفاعل و البناء إذن هناك علاقة و ترابط بينها لن المكونين فمفهوم الممارسة عند بورديو مرتبط بتلك العلاقة بين الفاعل و البناء الاجتماعي و التي مفادها أن يقوم هؤلاء الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء من خلال أفعال صادرة منهم و موجهة وفق تراكمات ونسق من الاستعدادات المكتسبة و التي اسماها بورديو بالهابتوس و التي جوهرها انها مبادئ يسير وفقها الفاعل بوصفه المنفذ العملي لبناء الموضوعات . و هنا تنعكس نظرة بورديو عمن سبقوه ففي نظرية الصراع الاجتماعي لماركس مثلا المكون الرئيسي و الركيزة هو رأس المال المادي الذي يخلق صراعات بين مختلف الطبقات الاجتماعية باختلافها و تنوعها لكن حسب بيار بورديو فان لرأس المال الرمزي دور كبير في توجيه سلوكات الفرد داخل النظام الاجتماعي الذي يتفاعل فيه و يمارس مختلف نشاطاته بتعددها و تنوعها و رغم هذا فان بيار بورديو قد أهمل بعض الجوانب في دراسته لعل أهمها تركيزه على البعد الفردي و الرمزي أيضا في تفسيره لظاهرة الفعل الاجتماعي و الانحرافات أيضا كونها أفعال اجتماعية ناتجة عن متغيرات متعددة تنطلق من الفرد و تنتهي في مختلف البنى و المحيط الذي يؤثر على سلوك هذا الفرد و تركيز بورديو على جانب و إهمال جوانب أخرى يعكس توجهاته كونه هو أيضا مؤطر من مؤطري الاتجاه الوظيفي و هذا لا يعدم أو يقلل من

[1]- بيار بورديو , بعبارة أخرى محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية , ترجمة احمد حسان , ص 33-34

1/ أهمية ما جاء به فقد كانت له إسهامات من بينها انه انتقد تلك التوجهات التي تتمادى في معالجة الظواهر الاجتماعية بناءا على توجهات تجريبية فقط.

تعقيب عام:

- من خلال التطلع على الاتجاه الوظيفي و رواده يمكننا أن نستنتج أنهم اهتموا بالفعل الاجتماعي و انتقلوا من مرحلة الماكروسوسيولوجيا في دراسة الظواهر الاجتماعية و التي كانت مع من سبقهم من علماء إلى مرحلة الميكروسوسيولوجيا من أن المجتمع كل متكامل مركب من أجزاء تقوم بادوار تتجسد في وظائف للجزء و الكل فالجزء يقدم خدمة لنفسه و هي البقاء و الحفاظ على نسقه و وظيفة أخرى اتجاه النسق العام و إذا افترضنا حسب المنظور الوظيفي أن الفعل الاجتماعي من شانه خلق التوازن للجزء و للمجتمع (النسق العام)علينا طرح سؤال جوهري من خلاله نصل للعلاقة بين الفعل الاجتماعي و الانحراف و هو كيف يحدث الانحراف ؟ أو بالأحرى كيف يتحول الفعل الاجتماعي إلى انحراف؟ و في سباق ما سبق فان نظرية الفعل الاجتماعي في المجال السوسيولوجي تهتم بالسلوك و تعتبر أن كل سلوك له هدف أي أن لكل فرد تطلعات يريد الوصول إليها عن طريق وسائل و سنفترض أن تلك الطرق التي يستعين بها الفرد لبلوغ أهدافه تمثل عنصر المفارقة و تتحكم فيها عوامل منها ما هو تحت إرادة و سيطرة الفرد ومنها ما هو خارج إرادته و هنا نتحدث بصفة عامة عن تأثيرات البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و التي تفرض على الفرد وسائل و خيارات محدودة على حساب أخرى و للفاعل الاجتماعي تراكمات و عوامل ليست وليدة الحاضر بل مرتبطة بقيمة السوسيوتربوية و مكتسباته الثقافية و هذه العوامل باتحاد مع عناصر البيئة بتنوعها سنفترض انه تولد انحرافات و التي بدورها تعتبر أفعال اجتماعية غير موجهة بطريقة سلمية ،و بالعودة إلى تصنيف ماكس فيبر للأفعال الاجتماعية فانه أعطانا نماذج تتلخص في أفعال عقلانية غائية و أخرى قيمية و أفعال عاطفية و أخرى تقليدية .أما تلك الأفعال الغائية المرتبطة بأهداف قد تتحول إلى انحرافات أذا كانت الوسائل المتاحة غير مجدية لتحقيق التطلعات آو إذا كانت البيئة الاجتماعية بمختلف أبعادها متصلبة و التأقلم معها

صعب،أما الأفعال العقلانية المرتبطة بالقيمة فهي تلك الأفعال التي لا يريد صاحبها من خلالها تحقيق أهداف مادية و قد تتحول إلى انحرافات إذا كان الهدف منها البحث عن مكانة داخل نظام اجتماعي معين و يحدث ذلك عن طريق اتجاه الأفراد نحو سلوكات لا يقبلها المجتمع و يوصمها (نظرية الوصم الاجتماعية) لأنها تتعارض مع قيمه،أما الانفعال العاطفية فهي تلك الأفعال التي يتحكم فيها الجانب العاطفي للفرد و إذا تساءلنا كيف تتحول مثل هذه الأنماط إلى انحراف سنفترض أنها تأتي كردود أفعال و كسلوكيات انتقامية نتيجة الإحساس بالإحباط(نظرية الإحباط) فالبيئة الاجتماعية المتصلبة لا تؤثر على الفرد المنحرف من جوانب على حساب أخرى بل تمس كل الأبعاد حتى الجانب السيكولوجي للفرد يتأثر بها ، ينتج عنها تفاعلات اجتماعية أما الأفعال التقليدية فهي تلك الأفعال التي تسيطر على الأفراد و تستمد شرعيتها من التقاليد و هي مرتبطة بالجانب الثقافي الانتروبولوجي للفرد و ننتج انحرافات في هذا السياق حسب افتراضاتنا نتيجة لصراعات ثقافية نابعة من الموروث الثقافي الذي يتبناه الفرد و الذي حتى و إن تعارض مع ثقافة المجتمع المستقبل فان الفرد لا يتخلى عنه حتى و إن وصمت تلك السلوكات.

و بالعودة إلى النظرية الوظيفية فإنها كانت مهمة بالنسبة لدراستنا رغم أنها أغفلت جوانب في سياق مناقشتنا للواقع الاجتماعي فقد كانت ذات منظور أحادي يركز على التكامل و التوازن و أغفلت عملية التغير الاجتماعي و أيضا عملية الصراع و تمادت بعض الدراسات مثل ما جاء به "بارسونز" فان محاكاة مجال البيولوجيا لكن لا يمكن إنكار دورها و فضلها في تفسير الفعل الاجتماعي و أنماطه و التي يبقى الهدف منها محاولة فهم حركة المجتمع و سيورته و حسب افتراض دراستنا و الذي نحن صدد معالجته و إثباته من خلال التنسيق بين النظري و التطبيقي فإننا نفترض أن العوامل البيئية الاجتماعية الاقتصادية و الثقافية المتصلبة تؤثر على أفعال الأفراد الاجتماعية و بالتالي تظهر انحرافات في المجتمع و في سياق هذا الطرح يمكننا تلخيص العلاقة الجوهرية بين الفعل الاجتماعي من جهة و الانحراف كونه سلوك غير متوازن من جهة أخرى تتجلى العلاقة كون الأفراد

و في إطار تفاعلهم مع المجتمع فإنهم يواجهون متغيرات تمس المستويات الاجتماعية، الاقتصادية و، الثقافية و تؤثر عليهم و على سلوكاتهم بالتالي تظهر الانحرافات و لفهم السلوك الانحرافي فإننا لن نركز على الجوانب الاجتماعية فقط،بل سنحاول الوصول إلى

جواب للسؤال الذي مفاده ،كيف للتراكمات و العوامل السوسيوتربوية و المحيط العام (البيئة) أن يؤثر في سلوكات الأفراد داخل النظام الاجتماعي العام ؟ و على أي أساس يمكننا تفسير تلك الأفعال الانحرافية هل هي ردود فعل وليدة البيئة الجديدة و التي يصعب التأقلم معها أم أنها نتيجة تراكمات انفجرت كمحاولة لفرض الذات بالنسبة لأولئك المغتربين ؟ أم أن ما يحدث صراع اجتماعي ؟و هل نستطيع تسميته بالصراع ؟ و كيف تتجلى مظاهره؟ و هل هي حالة من اللامعيارية بالنسبة لهؤلاء الفاعلين ؟

الفصل الثالث:

النظريات المفسرة للسلوك الانحرافي

تمهيد:

إن الانحراف هو سلوك غير متوازن تتحكم فيه مجموعة عوامل مرتبطة بالجانب السوسيوتربوي للفرد و أيضا بالمحيط العام الذي يتفاعل معه هذا الأخير (الفرد) وفق اعتقاداته و تصوراته و أهدافه وراء كل فعل يقوم به , و الفعل هنا «هو ما نطلقه على بعض أشكال السلوك و بالتحديد السلوك الهادف و الواعي و المقصود إلى التوصل لهدف معين و الذي يرتبط باجتياز الفاعل لأساليب معينة يعتقد في قدرتها على التوصل إلى الهدف الذي يرمي إليه»[1] , ومما لاشك فيه أن الفرد و في صدد قيامه بتفاعلاته الاجتماعية داخل المجتمع فانه يضطر إلى التعامل مع البيئة التي يمارس فيها نشاطاته و التأقلم و التكيف معها لكن عوامل البيئة الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية ليست دائما سهلة و بسيطة ليتأقلم معها الأفراد خاصة إذا ما كانت بيئة جديدة لها خصائصها و مميزاتها و بالتالي لا تضمن لجميع أفراد المجتمع فرصا للحياة و البقاء و تحقيق الأهداف لكن هنا تدخل آليات الأفراد و قدراتهم المتفاوتة من شخص إلى آخر لتمنح كل واحد منهم فرصا « و بالتالي فان الأفعال الاجتماعية تهدف إلى تغيير مواقف و سلوك الآخرين , تغيير يؤدي إلى إشباع حاجات و رغبات و مصالح معينة , لذلك فان وسائل الفعل هامة بحكم أن نجاح الفعل يتوقف على الاختيار الصحيح لهذه الوسائل »[2] ومن خلال هذا فان جوهر دراستنا هو فهم ذلك التأثير الذي تفرضه البيئة المتصلبة على الأفعال الاجتماعية التي يمارسها فاعلين مغتربين , داخل بيئة جديدة بالنسبة لهم و هنا فان هؤلاء الفاعلين يقع على عاتقهم التعامل و التكيف مع هذه البيئة الجديدة وفق طرق و إمكانيات متوفرة وكما هو معلوم فان لكل مجتمع خصائصه و ثقافته و بالتالي فان هؤلاء الفاعلين يسعون لبلوغ أهدافهم من خلال محاولة

[1]-جمال مجدي حسنين, سوسيولوجيا المجتمع, ص 94

[2]- نفس المرجع السابق, ص 95

التكيف مع البيئة الجديدة لكن ليست كل تلك الطرق و الأفعال الاجتماعية مقبولة ومنها ما يعتبر انحراف وهنا لدينا ثلاث عناصر و متغيرات أساسية نركز عليها في دراستنا , تصلب البيئة وثانيا الأفعال الاجتماعية و نقصد بها تلك سلوكيات الهادفة و الفعل هو ما نطلقه على بعض أشكال السلوك و بتحديد السلوك الهادف و الواعي و المقصود للتوصل إلى هدف معين و ثالثا الانحراف و هو السلوك غير المتوازن بالنسبة لقيم المجتمع و بناءا على هذا الطرح: كيف تؤثر البيئة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية على سلوكات هؤلاء الفاعلين و ما يدفعهم للانحراف ؟

و من خلال الاستناد على نتائج العمل الميداني فان مظاهر تصلب البيئة بالنسبة لحالات الدراسة المتمثلة في 10 حالات , 3 من مالي و 3 من غينيا و 4 من غامبيا تتمثل في مشاكل اجتماعية كصعوبة إيجاد عمل و صعوبة التأقلم مع المجتمع الجديد (الوهراني) و مشاكل اقتصادية و مشاكل اللغة و التواصل و مشاكل بخصوص الوصمة أو الصورة النمطية التي يتبناها بعض أفراد هذا المجتمع المستقبل حول هذه الفئة و أيضا الاختلاف الثقافي وما ينتج عنه من صعوبات و مشاكل و سوء فهم أحيانا و بالتالي فان حالات الدراسة عبارة عن أفراد مغتربين و لديهم أهداف و تطلعات و تصورات و قيم ومعتقدات خاصة بهم و تميز كل واحد منهم عن غيره و تميزهم ككل عن غيرهم في هذا المجتمع الجديد بالنسبة لهم و باعتبارهم (جماعة اثنية) لها خصائصها و مميزاتها الثابتة كاللون البشرة و القيم الثقافية و التي و أن اختلفت في بعض الجزئيات و الفروع لكنها ثابتة و مشتركة بين أفرادها في النقاط الكبرى أهمها الأهداف من وراء الهجرة و النظرة للغير و نمط الحياة المشترك و المتشابه و طرق التواصل المألوفة بالنسبة لهم و التي فرضتها عليهم البيئة الجديدة و العلاقة هنا بين أفعال هؤلاء الفاعلين (المهاجرين غير الشرعيين) و الانحرافات باعتبارها سلوكات غير سوية تتمثل في كون هؤلاء الفاعلين يمرون في مرحلة مواجهة المتغيرات الاجتماعية و التي تمسهم بطريقة مباشرة و تدفعهم إلى تغيير سلوكاتهم و بالتالي تنتج الانحرافات و نقصد بالمتغيرات تلك العناصر التي تتميز بها هذه البيئة الجديدة , و التساؤلات السوسيولوجية هنا كثيرة لعل أهمها ما يلي: - هل الانحرافات السلوكية الخاصة بهذه الفئة هي حالة من اللامعيارية؟ أم إنها ردود أفعال جاءت كنتيجة لما

يتعرض له هؤلاء الفاعلين في البيئة الجديدة ؟ أو أنها شكل من أشكال الصراع بصفة عامة و الصراع الثقافي بصفة خاصة؟ أم أنها سلوكيات مرتبطة بالعوامل السوسيوتربوية لهؤلاء الأفراد و بالتالي فهي شكل من أشكال التراكمات و المشاكل النفسية بصفة عامة و الإحباط بصفة خاصة؟

1/ النظرية الامعيارية في تفسير السلوك الانحرافي :

إن مفهوم الانومي أو اللامعياري يعبر عن حالة الضياع التي تعيب المجتمع و أفراده في مرحلة ما و«يميل التعبير السوسيولوجي إلى فكرة ضمن آليات الاندماج الاجتماعي . نتكلم عن الانوميا مثلا كي نشير إلى حيث أن فئة من الشعب لم يعد يحترم المعايير المهيمنة في المجتمع . يتكلم دوركايم عن "انتحار انومي "كي يصف حالات الانتحار التي تفسر عن طريق تراجع اندماج الفرد في العائلة أو جماعة العمل أن أصول القيم الأخلاقية لمجتمع ما يعتبر في نظر دوركايم سببا للانوميا و يرى عالم الاجتماع الامريكي روبيرت ميرتون أن الانوميا تظهر عندما لا يعود قسم من السكان يتفق مع قيم المجتمع يمكن ان يسلك حينها سلوك انحراف اهو تمرد أو انكفاء»[1] « وقد أكد ميرتون أن سبب الانحراف إنما يعود إلى عدم توافق أهداف المجتمع مع الوسائل المتاحة للأفراد لتحقيق تلك الأهداف وقد استخدم مفهوم الانومي مؤكدا على انه متغير مستقل و الانحراف متغير تابع له فإذا ما توافرت مرحلة الانومي في أي مجتمع حدث الانحراف »[2].و يمكن الاستعانة بالنظرية اللامعيارية لفهم ظاهرة انحراف المهاجرين الأفارقة (غامبيا, مالي, غينيا) غير الشرعيين في المجتمع الوهراني كونه بيئة جديدة و مختلفة بالنسبة لهذه الفئة كونهم فاعلين اجتماعيين فيها و لديهم أهداف و تطلعات قد تتعارض أحيانا مع الوسائل المتاحة لهم لبلوغ ما يتطلعون إليه و بالعودة الى النظرية اللامعيارية فإنها تقوم « حسب دوركايم على فرضيتين: كلما ازداد التماثل بين أفراد الجماعة كلما ازدادوا تماسكا وكلما قوي التماسك بين أفراد الجماعة كلما قويت مقاومتهم للجريمة »[3].وفي الفرضية الأولى فان التماثل شرط للتماسك و الذي بدوره يضمن للأفراد مقاومة الجريمة و قد درس دوركايم ظاهرة الانتحار و قدم نماذج

[1]- فيليب كابان و جان فرانسوا دوريته , علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية إعلام و تواريخ و تيارات, ترجمة إياس حسن, ص 363

[2]-/ سلوى عبد الحميد الخطيب , نظرة في علم الاجتماع المعاصر , ص 175

[3]-/ بسام محمد أبو عليان , الانحراف الاجتماعي و الجريمة , ص 51

بخصوصها منها « الانتحار الأناني و الانتحار الايثاري (غيري) و الانتحار الانومي (اللامعياري) و يكون نتيجة للتغير السريع في عادات و قيم و معايير المجتمع مما يجعل الأفراد في حالة تردد وتخبط وعدم توافق فيما بينهم بمجرد أن يتحرر الفرد من الضوابط الاجتماعية يكون سلوكه متخبطا بين العديد من النماذج السلوكية الآمر الذي يقوده للانتحار»[1].

-وقد قدم روبيرت ميرتون في أعماله نظرية الانوميا و افترض أن ثقافة المجتمع تنقسم إلى مجموعتين : الأولى ثقافة مشروعة و تمثل ضغط ثقافي على أفراد المجتمع و الثانية طرق غير مشروعة لا تسمح بها ثقافة المجتمع المحلي ولا قوانينه و أفراد المجتمع ينتمون إلى واحدة من هاتين المجموعتين مما يعني أن هناك تباينا بين الأفراد في تحقيق أهدافهم و إشباع حاجاتهم أما بطريقة مشروعة تحضى بالرضا و القبول أو بطريقة غير مشروعة تحضى بالرفض الاجتماعي .

-أصناف الانحراف عند ميرتون :

1/« الانحراف الانتمائي: أي انتماء الفرد إلى بيئة منحرفة منذ الميلاد . (الحالة رقم 03 لشاب من مالي عمره 24 سنة نشا في بيئة منحرفة يتاجر في المخدرات و يعتبر ذلك عملا عاديا و ليس وضعيا حتميا)

2/ الانحراف الانسحابي : يكون عندما يفشل الفرد في مواجهة الواقع الاجتماعي و يعجز عن تحقيق أهدافه مما يؤدي إلى التكيف السلبي بتعاطي المخدرات أو شرب الخمور أو العزلة الاجتماعية ....الخ (الحالة رقم 08 و الحالة رقم 06 لهذا النوع , رقم 08 مدمن مخدرات حالته النفسية متدهورة يرى أن المخدرات تجعله سعيد و الحالة 06 منعزل و مدمن مخدرات لجا إليها هنا في البيئة الجديدة و أصبح مدمنا و سلوكه عدواني حسب أصدقائه).

3/ الانحراف الثوري :يؤدي بالفرد المنحرف إلى ارتكاب جرائم (الضرب و العنف و التكسير و الحرق و الإتلاف) (الحالة رقم 05 يقوم بمواجهة التنمر و العنف اللفظي بالعنف الجسدي ويرى أنها السبيل الوحيد للتخلص من المضايقات التي يتعرض لها).

[1]- بسام محمد أبو عليان , الانحراف الاجتماعي و الجريمة , ص 52

4/ الانحراف الطقوسي: هو انحراف غير معيب يتمسك في الفرد بالإجراءات الإدارية الروتينية بشكل مفرط لدرجة الانحراف من المعتاد.

قدم ميرتون تصنيف آخر للانحراف :

-الانحراف المعيب :هو المخالف للقواعد القانونية و الدينية و يعتبر مرتكبها مجرما و يلقى عقابا بحكم القانون .

الانحراف غير المعيب: و هو المخالف للعادات و التقاليد الاجتماعية السلبية»

-انواع المنحرفين عند ميرتون :

«المنحرف المنشق :و هو الخارج عن العادات و التقاليد الاجتماعية و لا يعترف بسلطتها ,و يمثل شخصية ثورية تسعى إلى تغييرها ,و ليس تعديلها و لا يسعى إلى تحقيق مصالح ذاتية إنما يقصد المصلحة العامة (الحالتين رقم 06 08 يمثلان هذا النموذج احدهما مسيحي و الآخر لا يؤمن بأي ديانة هما غير ملتزمان يصوم رمضان و يعلمان انه داخل المجتمع الوهراني يعتبر عدم الصوم بالنسبة لعامة أفراد المجتمع انحرافا لكنهما لا يجدان مشكلة في الجهر بسلوكهما علنا معتبران ذلك حرية شخصية و على الآخرين احترامهما) المنحرف الضال :يحاول كتمان انحرافه» [6] (الحالة رقم 01 09 هما حالتين يقومان بالإفطار في رمضان و تعاطي الحشيش لكنهما يفضلان التستر على هذه الانحرافات السباب شخصية من بينها الخوف من أن تكون ردود فعل المجتمع سلبية تجاههم و بالتالي يفقدون بعض الامتيازات كالتعاطف و العمل)

و في الدراسة الميدانية قمنا بتوظيف أسئلة تقدم النظرية اللامعيارية أو الانوميا و هي كالتالي:

1/هل تساعدك الوسائل المتاحة هنا لبلوغ أهدافك؟

2/هل أنت مستعد للقيام بأساليب و طرق ملتوية للحصول على ما تريد؟

3/هل تحترم القانون أم لا ؟

بالنسبة للسؤال الأول فان 06 مبحوثين من أصل 10 وجدوا الجزائر و البيئة هنا عكس المتوقع و طرق العمل متاحة و التي لا يعتبرها المجتمع انحرافا ,الدخل فيها منخفض من

بينها العمل اليومي باجر ثابت في ورشات البناء و الفئة التي لا تفضل العمل اليومي باجر ثابت هي الفئة القادمة من غامبيا نظرا لان عملتهم (دالايس غامبي) اقوي من الدينار الجزائري لذلك لن يستطيعوا توفير مدخول لهم و لعائلاتهم إلا من خلال العمل في مجالات أخرى من بينها توزيع المخدرات و العمل في بيع الهواتف المسروقة وهذا نوع من أنواع الانحراف ,أما بالنسبة للماليين و الغينيين فإنهم لا يجدون مشكلة في العمل باجر ثابت خاصة الماليين لكنهم لا يمانعون من القيام بأعمال ملتوية إضافة كتجارة المسروقات (هواتف, آلات بناء و أدوات),من أصل 10حالات 03 غامبيين و حالة واحدة غينية و حالتين ماليين لديهم قابلية للقيام بأعمال ملتوية طالما أنها تضمن الدخل,و هناك 04 حالات لا تقوم بذلك خوفا من المخاطر التي تصحب تلك الأعمال ,و هنا الدراسة الميدانية يؤكد طرح ميرتون بخصوص التناقض بين الوسائل و الهداف و الذي يحدث على إثره الانحراف عندما تصبح الوسائل عاجزة عن توفير الأهداف .

2/ المدرسة السلوكية الاجتماعية :

-«يعتمد أصحاب المدرسة السلوكية على بعض أنماط السلوك في تفسير الجريمة و من رواد هذه المدرسة "جبرائيل تارد" الذي ركز على المحاكاة والتقليد و ينطوي تحت هذه المدرسة عدة نظريات هي:

1/نظرية التقليد : تنطلق النظرية من فرض أن الإنسان مقلد لمن يتفاعل معهم و عليه فان السلوك الإجرامي سلوك مكتسب مثل أنماط السلوك الأخرى , إلا انه غير سوي و تنظر النظرية إلى المجرم انه مثل أي فرد في المجتمع من حيث السمات الشخصية و الجسمية والعرقية و ما إجرامه ألا نتيجة تفاعله مع أفراد مجرمين.

-قوانين التقليد: يتم التقليد من الأعلى إلى الأسفل ,أي أبناء الطبقة الدنيا يقلدون أبناء الطبقة العليا و الصغار يقلدون الكبار .

-تكون من قوة التقليد حسب قوة العلاقة بين المقلد و المقلد »[1]

[1]- بسام محمد أبو عليان , مرجع السابق , ص 66

-و بالنسبة لحالات الدراسة التي لدينا فان هناك نوع من التقليد يقوم به المهاجرون المغتربون و قدوتهم في ذلك مهاجرون غير شرعيين سابقين لديهم خبرة و متأقلمين مع المجتمع هنا و قمنا بتوظيف أسئلة بالتسلسل في المقابلة جاءت كالتالي :

1/ هل تعتمد على احد في توجيهك هنا ؟

2/ هل تقوم بأشياء جديدة لم تكن تقم بها في بلدك الأصلي كتعاطي أنواع جديدة من المخدرات مثلا ؟

و بالنسبة للحالات رقم 1 و 2 و 9 فإنهم يعتمدون على توجيهات من مهاجرين غير شرعيين مثلهم لكن اكبر منهم سنا و الملاحظ في هذه الحالات أنهم صغار من ناحية السن ما بين 17 و22 سنة و يقومون بتقليد فئة من الشباب الجزائري حيث أن هؤلاء المغتربين لم يكونوا على دراية بأنواع المخدرات "كحبوب ليريكا" مثلا و بعد تعرفهم على الشباب هنا أصبحوا هم أيضا يتعاطون هذه المخدرات الجديدة حيث يقول المبحوث رقم 1:

1«quand je suis venu pour la première fois , je ne savais pas grand chose sur la drogue avec l'aide de quelques amis ,je connais tout »

ترجمة العبارة 1«عندما جئت الى هنا لاول مرة لم اكن اعرف الكثير عن المخدرات هنا و بمساعدة بعض الاصدقاء اصبحت اعرف كل شيء[1]

ومن خلال ما قاله المبحوث رقم 1 فان التقليد جاء بعد اختلاطه بأصدقاء جدد و هذا ما سنتطرق له في نظرية "الاختلاط التفاضلي" لكن الملاحظ من كلامه انه يصف من قاموا بمساعدته في ذلك بأنهم أصدقاء و هذا يؤكد قانون التقليد و الذي يقول ان قوة التقليد تكون حسب قوة العلاقة بين المقلد و المقلد.

ومن قوانين نظرية التقليد انه يتم من أعلى إلى الأسفل و هذا يعني أن أبناء الطبقات الدنيا يقلدون أبناء الطبقات العليا و هذا ما يؤكده تصريح الحالة رقم 09 عندما سألناه لماذا تتعاطى الحبوب المهلوسة فكان رده كالتالي :

2 « when I sow the guys doing that i decided to give it a try , and it was a great experience , it give me relaxation».

و بتحليل ما قاله نجد انه جرب هذا الأمر (التعاطي) فقط لأنه رأى الشباب هنا يقومون بذلك و هذا شكل من أشكال التقليد يؤكد الطرح الذي يقول ان التقليد يتم من الأعلى إلى الأسفل .

[1]- ترجمة العبارة1 «السرقة عمل جبان , الله لا يحب هذا»

2/ نظرية الاختلاط التفاضلي:

« يعتبر العالم أدوين سندرلاند رائد الاتجاه الثقافي بنظريته التي أخرجها في عام 1939م في كتابه مبادئ علم الإجرام , و تعد تلك النظرية أكثر النظريات الاجتماعية شهرة في علم الإجرام ذلك أن النظرية بنيت على تحليل نفسي اجتماعي لطبيعة بيئة الجماعة و إثرها على السلوك , إضافة إلى أنها تتضمن صياغة منطقية ترتيبية لسلسلة من العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الأفراد.

فهذه النظرية تنظر للفرد على انه جزء من جماعته التي ينتمي إليها , و بالتالي فهو يتبنى كل مواقفها و تصرفاتها و اتجاهاتها ومن هنا فهو يتعلم كراهية القانون أو عدم احترامه من خلال نظرته لموقف جماعته من هذا القانون , فكراهية جماعته للقانون أو عدم احترامها له تجعل هذا الفرد يكره القانون ولا يحترمه , وهذا ما يجعل الفرد يخالف القانون كلما سنحت الفرصة انطلاقا من تصوره أن هذا الفعل مألوف لدى جماعته و غير مستهجنا ,وعلى العكس من ذلك قد يتربى الفرد على احترام القانون وعدم مخالفته أذا كانت الجماعة التي ينتمي إليها تحترم ذلك القانون و لا تخالفه , ومن هنا تتضح حالة التفاضل بين احترام القانون و عدم احترامه ,و تتوقف تلك الحالة التفاضلية من قبل الفرد على نوعية و ماهية التركيب الاجتماعي الخاص بكل جماعة ومواقفها بالنسبة للقانون و مدى احترامها له من عدمه »[2]

ترجمة العبارة الثانية « عندما رأيت الشباب هنا يقومون بذلك قررت أن أجرب و حصلت على تجربة رائعة , إنها تمنحني الاسترخاء عن المخدرات(الحبوب)».[1]

و في الشق الميداني طرحنا سؤال مفاده : -هل تقوم بالسرقة ؟ و ما موقف أصدقائك من هذا الفعل ؟ و كانت النتائج منقسمة إلى فرعين فئة لا يجدون مشكلة في القيام بهذا الفعل عند الضرورة و يقدر عددهم ب 3 من أصل 10 , حالتين من مالي و حالة من غامبيا أما 7 حالات الأخرى فإنهم يزدرون هذا الفعل و يعتبرونه سيئا و يسبب مشاكل و الحالات التي ترى أن هذا الفعل عادي 2 منها تعيش ضمن جماعات من دول أخرى تتضمن أفراد

[1]- ترجمة العبارة2 «بالنسبة لي من سيؤذي الآخرين بدون سبب هو تخص جبان , لقد تعرضت للسرقة كثيرا , لذلك انأ لا أحب الأشخاص الذين يقومون بذلك ».

[2]-عبد الله ناصر السرحان , قضاء وقت الفراغ و علاقته بالانحراف الأحداث , ص 52 - 53

لديهم مدة إقامة طويلة هنا اغلبهم من نيجيريا و عليه فان هاتين الحالتين تستمدان القوة من هذه الجماعة التي ينتمون إليها و التي لا تستهجن هذا الفعل بل تعتبره عاديا , إما الحالة الوحيدة فهي حالة خاصة يعيش في عزلة و يقوم بالسرقة أحيانا لإشباع حاجاته من طعام و بالنسبة للفئة الذين لا يقومون بهذا الفعل فإنهم يقيمون مع جماعات اغلبهم يغشون مخالفة القانون و الوقوع في المشاكل في بلد أجنبي خاصة و أن هذه الأفعال قد ترجعهم إلى مواطنهم الأصلية و أيضا الصورة النمطية للسرقة كفعل هي صورة استهجان خاصة و أن اغلب الحالات كانوا ضحية لهذا الفعل و تم التعدي عليهم من جماعات مثلهم أو من بعض الشباب هنا في المجتمع الوهراني و كان من بين إجابات الحالة رقم 5 و الحالة 7 ما يلي:

1/ الحالة رقم 05 :

« le vol est un acte lache , dieu n'aime pas ca.»1

2/ الحالة رقم07:

« for me some one who hurts other for no reason is a coward , I have been robbed a lot , so I don't like people who do it »2

ومن خلال هذه الإجابات يظهر جانب الرفض لهذا السلوك من قبل هذه الجماعات بالتالي تختلف الصورة النمطية للسلوك من جماعة إلى أخرى

و تتحكم في هذه الاختلافات القيم الثقافية و المعتقدات و الأفكار الخاصة بكل جماعة .

«-وتقوم نظرية الاختلاط التفاضلي على الأفكار التالية :

1/ يتأثر سلوك الفرد بما يدور حوله في المجتمع من خلال التفاعل الاجتماعي.

2/ تختلف درجة التأثير بحسب قوة العلاقات و الانتماء إلى الواقع الاجتماعي .

3/ أي مجتمع يمر في مرحلة تغير اجتماعي سريع , معرض للتفكك الاجتماعي.

4/ كل فرد ينتمي إلى جماعة و بالتالي كل جماعة تترك أثرا في الفرد سواء كانت جماعة أولية مثل الأسرة أو ثانوية مثل الرفاق أو النوادي

5/ المجتمع مقسم إلى مجموعتين: الأولى ضابطة متمسكة بقواعد و قيم المجتمع , و أخرى مفككة لا تحترم قواعد و قوانين المجتمع , بدون شك من يختلط بالجماعة المفككة فإنها تغرس فيه الأخلاقيات المشينة و الصفات الرذيلة , و تعلمه أنماط السلوك المنحرفة »[1]

[1]- بسام محمد أبو عليان , مرجع سابق , ص 67

و عليه فان الجريمة حسب المنظور السلوكي هي سلوك مكتسب يأتي نتيجة تأثر الفرد بالبيئة الخارجية و ليس موروثا أو نتيجة لخلل في التركيبة العقلية و النفسية للفرد.

3/نظرية الوصم الاجتماعي :

«أسس هذه النظرية العالمان "لميرت " و "هوارد بيكر" وكلا العالمين هما من الولايات المتحدة الأمريكية فقد نشر ليمرت نظريته عن الوصم في كتابه الموسوم "المرض الاجتماعي "الذي ظهر عام 1951,أما هوارد بيكر فقد كتب عن نظرية الوصم في كتابه الموسوم "الفكر الاجتماعي من الخرافة إلى العلم "الذي ألفه بالاشتراك مع بارنز و نشر عام 1961,كما أضاف معلومات جديدة في نظرية الوصم و طورها في كتابه الموسوم "الغرباء دراسات في علم اجتماع الانحراف"أن نظرية الوصم هي جزء من نظرية الدور لأنها تعالج نظرة المجتمع نحو الفرد و مبادرة الأخير بالسلوك و الممارسة في المجتمع بناءا على النظرة التي يحملها المجتمع تجاهه ,و هنا يحدث التفاعل بين الفرد و المجتمع بناءا على الانطباع الذي يحمله المجتمع نحو الفرد وهذا الانطباع قد يكون انطباعا ايجابيا أو سلبيا بناءا على السلوك الذي قام به الفرد في المجتمع»[1]

«و قد وضع لميرث فرضيتين لنظريته ,الفرض الأول و الأساس هو أن الانحراف ظاهرة نسبية غير ثابتة تخضع في طبيعتها إلى تعرف الجماعة و تنشا بحكمها إذ أن الجماعة هي التي تعتبر بعض أشكال السلوك خروجا كبيرا على قواعدها و معاييرها التي ترضيها ,لذلك يوصم فاعلها بوصمة الخروج على المجتمع أو بالأحرى الخروج على قواعد الجماعة و معاييرها ,و من ثم فان الانحراف ذاته لا يقوم ببساطة على نوعية الفعل الذي يسلكه الشخص ,بل يبرز هنا النتائج التي تترتب عليه أو ما يطلقه الآخرون من صفة على الفاعل يصمونه في ضوئها بوصمة الانحراف» [2]

«إذن سبب الجريمة كما ترى نظرية الوصم لا برجع إلى ظروف المجرم أو المنحرف و الأسباب المادية و غير المادية التي تقوده إلى الجريمة,بل يرجع إلى النظرة السلبية التي

[1]- إحسان محمد الحسن ، النظريات الاجتماعية المتقدمة، ص 1231/
[2]- محمد شحاتة ربيع ،علم النفس الجنائي ، ص 128 2/

يحملها المجتمع نحوه لأنه في وقت ما ارتكب جريمة أو مخالفة, و هذه الجريمة أو المخالفة بقيت عالقة في أذهان الآخرين ,و أن الآخرين ظلوا يوصمون ذلك الفرد بالجريمة التي ارتكبها سابقا ,لذا فالتفاعل هنا يكون بين المجرم أو المنحرف و بين المجتمع الذي الصق به الجريمة و ظلت الجريمة تلاحقه طيلة المدة حياته إلى درجة أنها دفعته إلى ارتكاب جرائم أخرى.

و هنا نستطيع القول أن الجريمة لا ترجع إلى الأسباب المحيطة بالفرد المنحرف أو المجرم و إنما ترجع إلى طبيعة النظرة التي يحملها المجتمع نحوه»[1]

-و في الدراسة الميدانية حاولنا معرفة الوصم أو النظرة التي يرى بها أفراد المجتمع في المجتمع الوهراني المهاجرين المغتربين و أيضا حاولنا معرفة تصورات هؤلاء المغتربين للمجتمع هنا (أي نظرتهم للأفراد هنا)و كان من بين الأسئلة :1/كيف تنظر للمهاجرين الأفارقة غير الشرعيين؟ و كان السؤال على شكل استطلاع لمجموعة عمال جزائريين شباب يتكون عددهم من 8افراد و كانت الأجوبة متباينة من فرد إلى آخر و 6 منها تصب في معنى أن لا ثقة فيهم لأنهم غرباء يقومون بكل شيء، أما شخصان لا يجدان مشكلة في التعايش مع هؤلاء المغتربين ,و يطلق أفراد المجتمع هنا وصما على جميع هؤلاء المهاجرين القادمين من الجنوب الإفريقي و هو صفة "صدكا" بحكم أن بعض هؤلاء المهاجرين يتسولون لكن هذه الصفة تم تعميمها عليهم أما بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين فإنهم يوصمون فئة الشباب الجزائري هنا بأنها خطيرة حيث تشكلت لديهم صورة نمطية حول الشباب الجزائري بحكم أن بعض هؤلاء المهاجرين يتعرضون للمضايقات و التعدي أحيانا و كان هناك سؤالين رئيسين:

1/كيف ينظر إليها أفراد المجتمع هنا ؟

2/ كيف تنظر إلى أفراد المجتمع هنا ؟

و كان الهدف من هذين السؤالين هو معرفة الأفكار التي يعرفها المبحوث عن نظرة الآخرين إليه و إلى أي مدى تؤثر عليه نظرة المجتمع و أيضا معرفة الصورة النمطية التي تشكلت لديهم حول المجتمع الوهراني و الحالة رقم 08 بتحليل ايجاباته فإنها كانت قريبة

[1]- 1-/ إحسان محمد الحسن ،مرجع سابق، ص 233

من توقعات الجزائريين حول الأفارقة السود بحكم مدة إقامته التي تفوق السنتين هنا و الملاحظ من خلال هذا أن مدة الإقامة الطويلة جعلت هذا المبحوث يعطينا فكرة حول ما يحدث حيت يقول :

«i dont trust Arabs, and Arabs don't trust me ,distrust is normal»[1]

و المسالة فعلا مرتبطة بعدم ثقة متبادلة بين مجتمعين مختلفين احدهم مجتمع أصلي خاص بسكان يمثلون الأغلبية و الآخر يمثل جماعة اثنية و الملاحظ أيضا آن عملية الوصم لا تتم بين الجزائريين و المغتربين فيما بينهم فحتى هؤلاء المهاجرين من جنسيات مختلفة حيث ينظر الغامبيين و الغينيين إلى الماليين على أنهم متسولون فالحالة رقم04 عندما سألناه ,هل تتسول أجاب كالتالي :

«non, je suis pas un malienne , les maliens fait ca »

و هنا تظهر الوصمة الاجتماعية التي تم إلصاقها بهذه الفئة على حساب الآخرين .

«و تكتسب نظرية الوصم أهميتها لأنها تبدأ بالافتراض لان الأعمال و الأفعال الإجرامية ليست فطرية في جوهرها و أن تعريف الجريمة إنما يضعه الأقوياء من خلال صياغة القوانين و تفسيراتها »[2].

و في سياق هذا الطرح فان عملية الوصم ليست مرتبطة بنوعية الفعل و الأفعال ليست فطرية و وصف الفعل بأنه انحراف مبني على التفاعل الذي يتم بين الفاعل و أفراد المجتمع الآخرين ووصم أي فعل مرتبط بأسس تتبناها جماعة أو أفراد مجتمع ما و تلك الأفكار أو الصور النمطية تأتي نتيجة عمليات تراكمية قيمية و التكرار يولد الوصم فنجد مثلا فئة من أفراد المجتمع تقوم بوصم فرد ما فقط لأنه قام بتكرار فعله ,إذن خلاصة القول أن وصم فعل ما ليس متعلق بنوعية الفعل بقدر ما هو مرتبط بنظرة و تعامل الأفراد مع ذلك الفعل أو السلوك .

4/ النظريات الصراعية في تفسير السلوك الانحرافي :

إن الانحراف هو سلوك تتعدد أسبابه و دوافعه و نتائجه و تتعدد التفسيرات التي تحاول تشخيصه منها العوامل المحيطية المرتبطة بالبيئة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و التي

[1]- ترجمة العبارة : «لا لست ماليا ،الماليين يقومون بهذا »

[2]- انتوني غيدنز ، ترجمة فايز الصياغ ، مرجع سابق ، 287

لها دور مهم في توجيه السلوك الانحرافي و تباينه من شخص لآخر وفق ما يعانيه كل فرد من مشاكل و صعوبات تحول دون تكيفه مع مجتمعه الذي يتفاعل فيه و يمارس من خلاله مختلف نشاطاته و مما لا شك فيه أن للبيئة الثقافية و الاقتصادية دور مهم في توجيه سلوك الفرد ,«حيث أن الثقافة هي الوسيلة التي يتوافق بها الفرد مع بيئته و هي وسيلة في البقاء أي أنها التكيف و التوافق الذي يقوم به الإنسان»[1]و يسعى هذا الأخير (الإنسان) إلى الحفاظ على موروثه الثقافي من اجل فرض نفسه و أثبات انه موجود في بيئته ومحيطه الذي يمارس فيها مختلف نشاطاته و يتشكل عنده نوع من التمرد أو عدم الامتثالية خاصة عندما يشعر انه يعيش على الهامش و هكذا قد تنتج انحرافات و هذا ما سنحاول التطرق إليه عبر بعض النظريات أما بالنسبة للجانب الاقتصادي فان هناك نظريات و رؤى سوسيولوجية حاولت تفسير و إثبات الدور الذي يلعبه هذا الجانب في الانحراف حيث أن تصلب البيئة الاقتصادية من شانه التأثير على جوانب مهمة في حياة الأفراد و خاصة تلك المتعلقة بالدخل و السكن و جوانب الحياة اليومية

5/ نظرية صراع الثقافات

« يحدث الصراع الثقافي عندما تتعرض المجتمعات إلى تغير اجتماعي سريع , والتي يقسم المجتمع إلى قسمين :الأول يؤيد التغير و يدافع عنه , الآخر يرفض التغير و يحاربه و قد يكون الصراع داخليا مثل : (الصراع بين ثقافة الريف و ثقافة الحضر , أو الصراع بين ثقافة التقدم أو ثقافة التخلف ,أو الصراع بين ثقافة الآباء و ثقافة الأبناء , أو الصراع بين ثقافة الذكور و ثقافة الإناث) و قد يكون خارجيا مثل (الصراع بين ثقافة المستعمر و ثقافة المستعمر أو الغزو و الاختلاق الثقافي»[2].

ومن خلال هذا فان الصراع الثقافي يمثل موجة التغير التي تحاول أن تحدثها إحدى فئات المجتمع لأهداف و أغراض كثيرة أهمها إثبات الذات أو مسايرة الحداثة أو إيجاد معنى أو أهداف في مجتمع بالغ التعقيد أو التجديد لمواكبة السيرورة الثقافية و في موضوع دراستنا

[1]-سناء الخولي ،المدخل إلى علم الاجتماع ،ص 105

[2]-2/بسام محمد أبو عليان ،مرجع سابق ، ص 62

المتعلق و الموسوم ب"تأثير البيئة على انحرافات المهاجرين القادمين من الجنوب إلى الشمال الإفريقي "

وبعد القيام بالدراسة الميدانية وجدنا إن الصراع الثقافي لا يتم بين هؤلاء المغتربين و المستقبلين بدرجة قوية بقدر ما يتم بين هؤلاء المغتربين الذين يمثلون جماعة اثنية في دولة أجنبية لكنها منقسمة على الذات ثقافيا حيث أن هناك فئة محافظة على نمط الحياة التقليدي و البسيط و القريب نوعا ما من الحياة الريفية و يتمثل هذا النمط في العمل صباحا و التوجه إلى البيت مساءا مع عدم القيام بأشياء جديدة أي الحفاظ على روتين الحياة التقليدية و على عكس ذلك تماما فئة متمردة على نمط الحياة التقليدي رأت في الهجرة سبيلا للتحرر من القيود و تحاول تقليد و محاكاة نمط حياة الشباب الجزائري و الفرق بين الفئتين يتمثل في النقاط التالية :

1/ الفئة المحافظة على نمطها و أسلوبها تتجنب تغيير الروتين خشية الوقوع في المشاكل , أما الفئة المنفتحة لا ترى مشكلة في تغيير روتين الحياة و تطالب بالحياة مثل الآخرين رغم ان ذلك قد يسبب المشاكل (كالمخاطرة باكتشاف أشياء جديدة من بينها دخول النوادي الليلية و الحانات شلا و الحالة رقم 3 مبحوث يقوم بذلك رغم انه يتعرض أحيانا للمشاكل) و هنا يكمن الفرق في عنصر المجازفة بين الفئتين.

2/ في الانحراف هناك اختلاف بين الفئتين أيضا فالفئة التقليدية لا تقوم بأشياء لم يسبق لها القيام بها فرغم أنهم يتعاطون الحشيش إلا أنهم يرفضون تعاطي الخمر و على عكسهم تماما يقوم المنفتحون و المقلدون لثقافة المجتمع المستقبل بذلك

3/ ان الصراع الثقافي بين أفراد المجتمع الواحد من فئة الأفارقة المغتربين في المجتمع الجزائري سببه الرئيسي هو خروج بعض أفراد هذا المجتمع عن قواعده الرئيسية , و الملاحظ هنا أن فئة المهاجرين الأفارقة و رغم أنهم في بيئة جديدة ألا أنهم يحافظون على بقائهم و سيرورة ديناميكيات نشاطهم من خلال فرض قواعد تتبناها الأغلبية خاصة و أنهم يعيشون في جماعات و يقومون باستئجار شقق رخيصة الثمن في أحياء قصديرية ومن تلك القواعد التي تضمن البقاء عدم المجازفة وعدم الوقوع في المشاكل و الابتعاد عما يسبب

خطرا للجماعة و يتم استبعاد و طرد أي فرد لا يلتزم بقواعد الجماعة و المثال على ذلك الحالة رقم 3 و 8 لديهما مشاكل على الصعيدين من الجماعة ومن أفراد المجتمع المستقبل .

6/ النظرية الاقتصادية في تفسير السلوك الانحرافي:

إن البيئة الاقتصادية و ما تحمله من متغيرات تمس جوانب متعددة لحياة الفرد بدون شك لها تأثير على أفعاله و سلوكياته الاجتماعية بحكم أن الجانب الاقتصادي من شانه تحسين الأوضاع المعيشية و أيضا ضمان مكانة في السلم الاجتماعي ومنح امتيازات متعددة للفرد داخل المجتمع.

-« حيث يرى "تشامبلس و سيد مان" أن الجريمة و الانحراف سببها الظروف المعيشية الفردية تؤثر على معايير الشخص و قيمه و أن المجتمعات المتقدمة تتألف من جماعات ذات معايير متصارعة و أنها كلما ارتفعت المكانة الاقتصادية لجماعة ما كلما ارتفعت إمكانية أن تعكس القوانين قيمهم و ذلك نظرا لارتباط قيم الجماعات بالمكانة الاقتصادية و الاجتماعية »[1].

ومن خلال هذا تظهر أهمية الجانب الاقتصادي و علاقتها بالسلم الاجتماعي الطبقي ، حيث أن هذه العوامل الاقتصادية و البيئة الاقتصادية عموما لها تأثير على السلوكات الاجتماعية للأفراد.

-« وقد احتل العالم الاقتصادي حيزا كبيرا من اهتمام العلماء عند دراستهم و تفسيرهم للجريمة من خلال التركيز على أبعاد (الدخل و المهنة و الاستهلاك و فرض العمل و البطالة و إشباع الحاجات و الفقر .....الخ) ومن ابرز هذه الجهود:

1/ "بونجر": يركز" بونجر" على إشباع الحاجات إذ يجب على النظام الاقتصادي إشباع حاجات الأفراد الضرورية و أن تعذر إشباعها من الممكن أن يقع الأفراد فريسة للانحراف و الجريمة.

[1]- عمر عبد الله الزواهرة ، المتغيرات الاقتصادية و أثرها على السلوك الجرمي و الانحراف ، ص 16

بكلمات "بونجر" يقول :"يولد الإنسان و هو مزود بغرائز يرغب في إشباعها ، فإذا كانت الظروف الاجتماعية و الاقتصادية ملائمة لإشباع هذه الحاجات زادت الغرائز في ضبط السلوك الاجتماعي و إن كان العكس ، أي لا يفلح الفرد في إشباع حاجاته و غرائزه ، ضعف لديه قوة الوازع الداخلي و سيطرت النزعة الأنانية على سلوكه ، وبالتالي تدفعه و تعرضه على ارتكاب السلوك الإجرامي رغبة منه في الانتقام من المجتمع »[1].

-وفي هذا السياق وظفنا مجموعة أسئلة مرتبطة بتأثير الجانب الاقتصادي على السلوك الانحرافي و جاءت كالتالي :

1/ هل تعاني من مشاكل اقتصادية هنا ؟

2/ حسب رأيك هل تعتقد أن غياب الدخل يدفع بالضرورة إلى الانحراف ؟ (ونقصد بالانحراف هنا تلك الجرائم المتعلقة بالجانب الاقتصادي كالسرقة و الغش على سبيل المثال)

3/ هل الدخل الذي تتقاضاه كافي لإحداث تغيير أو تحسين في نمط معيشتك ؟

و الهدف من هذه الأسئلة هو معرفة ما إذا كان هناك تأثير مباشر للجوانب الاقتصادية على السلوك و بالنسبة للمبحوثين فإنهم ينقسمون إلى قسمين :جماعة لديهم اكتفاء ذاتي و جماعة أخرى يعانون من مشاكل اقتصادية و الأسباب هنا تتلخص في الأتي :

1/ من لديهم اكتفاء ذاتي هم فئة متطلباتهم الاقتصادية قليلة أي أن ما يتقاضونه من مدخول كافي لسد حاجياتهم بينما الآخرين لا خاصة أولئك الذين ينفقون المال على المخدرات باهظة الثمن مقارنة بمدخولهم المالي اليومي حيث أن اغلبهم يتقاضون يوميا ما يتراوح بين 1300 و 1500 دينار جزائري و حاجتهم الملحة إلى إشباع رغباتهم كالتعاطي تمنعهم قابلية للقيام بأفعال انحرافية كالسرقة و يقدر عدد هؤلاء الذين لديهم استعداد للقيام بأفعال منحرفة ب 3 حالات من أصل 10 ومن ضمن أسباب هذه الاستعدادات الرئيسية هو الحاجة الملحة لإشباع الرغبات و بالنسبة لقابلية القيام بأعمال ملتوية أخرى ما عدا السرقة فان حالات ككل لديهم تلك الاستعدادات لكن من خلال تحليل المعطيات بصفة عامة فان

[1]- بسام محمد أبو عليان، مرجع ساب، ص 48

الاستعدادات الانحرافية المرتبطة بجرائم اقتصادية كالسرقة و تجارة الممنوعات و الغش و السطو هي جرائم تغذيها الأسباب التالية :

-عدم الاكتفاء بالدخل اليومي كونه لا يسد الحاجات الاقتصادية (خاصة بالنسبة للمدمنين أكثر من غيرهم)

-الدخل اليومي عاجز عن إحداث تغيير واضح (خاصة وان المهاجرين غير الشرعيين هدفهم العبور لأوروبا و ذلك يتطلب مال لذلك هم يهالرعون من اجل توفير قوتهم اليومي وتوفير أموال للعبور و بعض الحالات ترسل أموالا لتعيل أسرها في دولها الأصلية).

-بعض المهاجرين كانوا يعيشون حياة جيدة في دولهم الأصلية و هجرتهم نحو شمال إفريقيا إلى الجزائر بالتحديد كان الهدف منه العبور إلى أوروبا و جمع قدر معتبر من المال ، و هذا ما يجعل متطلبات هذه الفئة أكثر من غيرها فالمهاجر الغامبي تختلف ظروف هجرته تماما عن المهاجر المالي فالحالتين 7 و 8 و 10 من غامبيا لديهم مسؤوليات منها إعالة أسرهم و الحالة 8 بالتحديد لم يتأقلم مع الظروف الاقتصادية هنا و لديه استعدادات للقيام بأعمال ملتوية في سبيل تحقيق الدخل و السبب هنا لأنه كان جنديا سابقا في دولته لديه دخل وهدفه من الهجرة كان تحسين الوضع لكن هنا وجد تحديات لم يكن يضعها في الحسبان من بينها ان الدخل اليومي بالدينار الجزائري زهيد مقارنة بعملته (الدالاسي الغامبي) لذلك حتى قيمة العملة تلعب دورا في توجيه سلوكات الأفراد بهدف تحسين الدخل و تحقيق الأهداف و إشباع الحاجات .

7/نظرية الثقافة الفرعية:

«تعرف الثقافة بأنها ذلك الكل المركب من القيم و العادات و المعتقدات التي تميز المجتمع عن غيره من المجتمعات ،و يشير مصطلح الثقافة الفرعية إلى متغيرات ثقافية تميز جزء معين من مجتمع بعينه،تشكل الثقافة الفرعية انساقا ثقافية متماسكة نسبيا و تقوم كمجموعة عوامل داخل العامل الأكبر المتمثل في الثقافة العامة

-يعتبر كوهن من رواد الثقافة الفرعية الذي ركز على دراسة ثقافة الجانحين في كتابه"الأولاد المنحرفون" بهدف التعرف على أسباب و أشكال انحراف الجانحين ، من

منطلق أن كل فئة جانحة تكون لها "ثقافة فرعية "خاصة بها يستمدون منها الشعور بالانتماء و تبرر سلوكهم الإجرامي .» [1]

«نظرية ميلر في الثقافة الفرعية:تتلخص نظرية ميلر في النقاط التالية : [2]

1/ يتكون المجتمع من طبقات متباينة و لكل طبقة نمط ثقافة خاص بها (في المجتمع الوهراني أنماط ثقافة متباينة على سبيل المثال طبقة الأغنياء لديهم نمط مختلف عن طبقة الفقراء و فئة المغتربين أيضا لهم أنماط ثقافة خاصة بهم)

2/ تختلف ملامح الثقافة الفرعية عند الطبقتين الوسطى و الدنيا .

في موضوع دراستنا المتعلق بانحراف المهاجرين المغتربين هناك نوعين من الصراع أولهما صراع الطبقة الوسطى التي يمثلها سكان المجتمع المستقبل مع الطبقة الدنيا و هم المهاجرين المغتربون و تتجلى هذه الصراعات الثقافية في عديد من المظاهر و الصراع الثاني هو بين المغتربين أنفسهم و الذين فيهم نوعين أول محافظ يحاول الحفاظ على ملامح ثقافته التي جاء بها من موطنه الأصلي و تتمثل في (عادات و تقاليد و قواعد داخل الجماعة و اللغة) و الثاني منسلخ من تلك الدوافع و القيم و يحاول الانصهار مع ثقافة المجتمع المستقبل كنوع من التجديد و لأسباب تغذيها دوافع قبلية و استعدادات جاء بها من موطنه الأصلي و في غالب الحالات هي طرق لمحاولة التكيف مع الوضع الجديد .

3/قيم أبناء الطبقة الدنيا تقودهم إلى الانحراف في ضوء معايير الطبقة الوسطى ،إلا أن ما يعتبر سلوكا انحرافيا عند أبناء الطبقة الوسطى يعد سلوكا مقبولا عند الطبقة الدنيا (مثال ذلك انه و داخل جماعات المغتربين توجد قواعد من بينها عدم شرب الخمر كمثال و يرجع ذلك إلى قيم دينية و تربوية خاصة بهم و هناك حالات ترى ذلك الفعل أمرا عاديا و حرية شخصية و لهم الحق في فعل ذلك داخل البيوت المشتركة التي يقيمون فيها وهذا ما يسبب لهم مشاكل مع الأغلبية ،و أيضا هناك جماعة من المغتربين يخالفون معايير المجتمع

---

[1]- بسام محمد أبو عليان، مرجع ساب، ص 48

[2]-سماح سالم سالم ،بهاء رزيقي علي، محمد سالم سال،الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة و الانحراف، ص 51

المستقبل ككل مثل الحالة رقم 06 و الحالة رقم 08 لا يصومان رمضان نظرا لأنهم غير مسلمان لكن ذلك الفعل يعتبره أفراد المجتمع الوهراني انحرافا لذلك ردود الأفعال تجاههم سلبية)

4/ الثقافات الفرعية عند طبقات الدنيا لديها اهتمامات تؤثر على السلوك منها (الرجولة ،الاستقلالية)»[1] و مثال ذلك من حالات الدراسة 01و03و08و02 وهم أربع حالات منها يافعين دون سن 25 سنة يرون في الانحراف و التعاطي نوعا من فرض الذات و الحالة رقم 08 يعتبر العنف وسيلة للدفاع عن نفسه تجاه أي استهجان يتعرض له حتى لو كان ذلك لفظيا حيث يقول : [1]

When someone insults me in sacist terme ,I beat him ta prove that I am here I exist and I have the the same nghts

و العنف هنا يأتي كرد فعل الهدف من وراءه هو فرض الوجود و هذا الهدف مشترك بين الحالات رقم 01و03و08و02 و بالإضافة إلى هذا فهم يعانون من مشكلة النبذ داخل مجتمع المغتربين و أيضا لهم مشكلة بخصوص اللغة حيث يعتبرون أن عدم فهم و تعلم لغة المجتمع الجزائري مشكلة بالنسبة لهم أما بالنسبة للحالات الست الأخرى فلا مشكلة لديهم من عدم تعلم لغة المجتمع هنا و يرون أن الاختلاف أمر عادي و مشكلتهم الوحيدة هي أن اغلب أفراد المجتمع هنا لا يتقنون اللغات الأجنبية و كان من بين الأسئلة الرئيسية التي تم توظيفها في المقابلات :ماذا تختار ،أن تتمسك بعاداتك و قيمك أو تنصهر وفق ثقافة مجتمعنا؟

و 09 حالات من أصل 10 فضلوا التمسك بعاداتهم و قيمهم ما عادا الحالة رقم 09 و الذي لم يمانع الانصهار وفق ثقافة مجتمعنا طالما لا يتم احتقار عاداته و تقاليده و أسلوب حياته ،أما 09 حالات الباقية يفضلون الحفاظ على نمط حياتهم و ثقافتهم مبررين ذلك برفض المجتمع لهم بصفة عامة و يصفون أنفسهم بالمهمشين حيث طرحنا سؤال آخر بخصوص قضية التهميش (هل تعتبر نفسك مهمشا ؟)

[1]-بسام محمد أبو عليان، مرجع سابق ،ص 70

أما الحالات 01 و03و08و02 فإنهم يعتبرون أنفسهم مهمشين حتى داخل مجتمع المغتربين و الأسباب و الاحتمالات هنا متعددة و قد يوجد الكثير من الحالات التي تمر بنفس مشكلة هذه الحالات لكن من الأسباب الرئيسية لكل حالة منهم ما يلي :
الحالة رقم 01 عمره 22 سنة يقيم مع جماعة من غير جنسيته (هو من مالي و مقيم مع جماعة من نيجيريا) و نفس الحالة بالنسبة رقم 08 (هو من غامبيا ومقيم مع جماعة فيها عدد كبير من السنغاليين)و حسب ما صرح به هم ملتزمون بتعاليم الدين الإسلامي و بتحليل ما يقوم به من أفعال فانه في نظرهم منحرف ،أما الحالات 02و03 فهما حديثا القدوم إلى الجزائر و قد يكونا غير متكيفان مع الوضع الجديد خاصة و أنهما يعيشان في سكن جماعي يتشاركانه مع أشخاصا آخرين و في هذه الحالة تحاول الجماعات المسيطرة فرض قواعدها .

ملاحظة : في سياق هذه النظرية ، ليس لدينا طبقات واضحة في الجزائر حسب التعريف الماركسي .

8/ نظرية الإحباط في تفسير السلوك الانحرافي:

من أشهر علماء هذه النظرية ميللر-روبرت و سيزر جون دولارد و غيرهم حيث ينصب اهتمام هؤلاء العلماء على الجوانب الاجتماعية للسلوك الاجتماعي ،و قد عرضت أول صورة لهذه النظرية على فرض مفاده وجود ارتباط بين الإحباط و العدوان ،و هذا الارتباط بين الإحباط كمثير للعدوان كاستجابة مثيرة (الإحباط←استجابة =عدوان)فالعدوان من أشهر الاستجابات التي تثار في الوقف الإحباطي و يتم ذلك بهدف إزالة المصدر أو التغلب عليه أو كرد فعل انفعالي للفيق أو التوتر المصاحب للإحباط و من خلال الاستنتاجات التي توصل إليها أصحاب هذه النظرية من دراستهم للعلاقة بين الإحباط و العدوان و اعتبارها بمثابة الأسس النفسية المحددة لهذه العلاقة و هي :

1/ تختلف شدة الرغبة في سلوك العدواني باختلاف كمية الإحباط

2/ إن العدوان الموجه ضد الذات لا يظهر ألا إذا تغلب ما يكف توجيه أو ظهوره ضد الذات

3/ قد تحدث الاستجابات العدوانية نتيجة للتقليد

4/ كف السلوك العدواني في المواقف الإحباطية بمثابة إحباط آخر يؤدي ازدياد ميل الفرد للسلوك العدواني ضد مصدر الإحباط الأساسي .[1]

و بناءا على هذا فان نظرية الإحباط مبنية على فرض رئيسي متمثل في أن هناك علاقة بين الإحباط و السلوك العدواني و من التساؤلات السوسيولوجية التي يجب طرحها ما يلي :ما هي العلاقة بين تصلب البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الإحباط ؟و إذا كان يفعل ذلك ما هي مظاهر هذا السلوك العدواني ؟و هل هذا العدوان داخلي أو خارجي ؟أي بمعنى آخر هل هذا العدوان موجه نحو النفس أو نحو الآخرين ؟

ومن بين الأسئلة التي وظفناها في المقابلات ما يلي :

1/ قبل قدومك إلى الجزائر كيف كنت تتوقعها و كيف وجدتها ؟

-و الهدف من هذا السؤال كان محاولة معرفة الصورة النمطية بخصوص البيئة الجديدة قبل و بعد الهجرة أي مدى معرفة التوافق بين التصورات و الواقع الجديد في بيئة جديدة لديها خصائصها و مميزاتها باعتبار أن الاصطدام بالواقع لا يشبه دائما التصورات القبلية .

2/ هل تشعر بالإحباط ؟

-و هذا السؤال هو سؤال رئيسي الهدف منه معرفة إذا ما كان فعلا المبحوث يشعر بحالة من الإحباط ،و هناك أسئلة فرعية أخرى تم توظيفها مثلا :1/هل تشعر بالندم لأنك هنا

2/ كيف تتم معاملتك هنا ؟

-و الهدف من أول سؤال هو تأكيد المعلومات خاصة بالنسبة للحالات التي لا تجيب بطريقة مباشرة ،أما السؤال الثاني فالهدف منه معرفة كيف تتم معاملة المبحوثين و أيضا معرفة ردود أفعاله تجاه تلك المعاملة .

[1]-نجاة احمد الزليطي سيكولوجية العدوان و النظريات المفسرة له ص 178

و بالنسبة للنتائج فان 07 حالات من أصل 10 وجدوا الجزائر غير المتوقع حيث ان هناك تحديات و ظروف لم يكونوا جاهزين لها من من بينها وجود الخطر حيث يقول المبحوث رقم 04:

J'avais l'habitude de penser que il n'y avait pas de danger ,mais je ne pouvait pas trouver deli il y'a beaucoup de mafia

و بالنسبة للإحباط فان كل الحالات يشعرون بهذا الأخير (الإحباط) لكن ليس لنفس الأسباب فالحالات 01و02 و09 أسباب إحباطهم مرتبطة بعدم اعتيادهم على ترك عائلاتهم خاصة و أنهم هنا شبه عالقين ،أما الحالتين 06و08 فمشاكلهم متعددة فالحالة رقم 06 من ديانة مسيحية و يشعر بالانزعاج لان هان أفصح عن ذلك فان معاملته تكون بشكل سيئ ،و الحالة 08 لديه مشاكل اقتصادية و اجتماعية و يعاني من صعوبات في التكيف و التأقلم .

1/ البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية في المجتمع الوهراني عما ألفه هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين و لديها خصائصها المرتبطة بثقافات مختلفة عما عهدوه و اصطدامهم بهذه الأوضاع الجديدة يجعلهم عرضة للإحباط في فترات ما (مدة التأقلم و محاولة التكيف)

و بالنسبة لعلاقة الإحباط بالعدوان فانه و ليس بالضرورة أن يحدث ذلك فممارسة العنف بالنسبة للمبحوثين يكون كردة فعل فقط لما يتعرضون له فالحالة رقم 08 كمثال قال سابقا انه يعنف كل من يهينه بعبارات عنصرية ،لكن هذا لا ينفي إمكانية أن يكون الإحباط أيضا له دوره في العدوان فهناك انحرافات من مسبباتها الرئيسية الإحباط كالتعاطي و هذا يعني أن البيئة الخارجية تؤثر في انفعالات الشخصية و بالتالي تظهر الانحرافات المتنوعة من شخص إلى آخر .

خاتمة الفصل:

-إن موضوع انحراف المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين القادمين من جنوب ووسط القارة إلى شمالها و التأثير الذي تلعبه البيئة الجديدة بكافة أبعادها الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية يتطلب الإلمام بمجموعة من النظريات لفهم ووصف السلوك ألانحرافي خاصة و أننا قد كنا في صدد دراسة التأثير الذي تحدثه العوامل المحيطية على الأفعال الاجتماعية لتحدث الانحرافات ، فالانحراف ليس دائنا سلوكا بغير معنى و هو عبارة عن أفعال موجهة و تتحكم فيها عوامل مختلفة من بينها" مؤثرات اجتماعية" و يتجلى ذلك فيما تفرضه البيئة الاجتماعية من قيود على هؤلاء المنحرفين الذين يمثلون فئة أو جماعة اثنية لها خصائصها و أهدافها داخل المجتمع العام الذي تمارس فيه مختلف نشاطاتها و هناك" مؤثرات ثقافية "و خصائص تميز البيئة الثقافية هنا " المجتمع الوهراني" و تختلف تلك الخصائص عما جاء به هؤلاء المهاجرين من ثقافات و قيم سوسيوتربوية نشئوا عليها و هناك "مؤثرات اقتصادية " تلعب دورها أيضا بحكم أن للمجتمع المستقبل خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات و بالنسبة لهؤلاء المهاجرين فان كل واحد منهم جاء من بيئة لديها مميزاتها و تختلف استعدادات التكيف و التأقلم من شخص لأخر حسب ما لديه من إمكانيات لذلك وجب الإلمام بمجموعة نظريات من بينها

" النظريات الاجتماعية و السلوكية و الاقتصادية و الثقافية و أيضا تم الاعتماد على نظرية الوصم الاجتماعي و التفاعلية حيث أن الانحرافات هي سلوكيات تتحكم فيها عوامل متداخلة و تم الاعتماد على نظرية الإحباط أيضا فهناك عوامل داخلية أيضا لا يمكن إهمالها من منطلق أن العوامل المحيطية " البيئة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية المتصلبة " تؤثر

على عوامل داخلية في نفسية الفرد وتتفاعل معها لينتج الانحراف و خير مثال على ذلك ما رأيناه في نظرية الاختلاط التفاضلي و التي ترجع سبب الانحراف إلى الاختلاط بالضرورة لكن الحالة رقم 08 لم يختلط لينحرف و يقوم بالسرقة و هذا يعني أن الجانب النفسي مهم أيضا و بخصوص نظرية الوصم فان الانحراف لا يمكن أن يكون مرتبطا بالوصم فقط فهناك حالات تمارس الانحراف لأسباب أخرى غير ذلك و خلاصة القول أن النظريات المفسرة للسلوك ألانحرافي مكملة لبعضها و لا يمكن الاستعانة بمنطق نظرية واحدة و تفسير السلوك ألانحرافي بناءا عليها فقط ، فالانحراف ظاهرة اجتماعية تتعدد مسبباتها و عواملها.

الجانب الميداني

الفصل الرابع:
دراسة حالة

دليل المقابلة:

1/ إن موضوع الدراسة انطلق من التساؤل التالي :

هل يؤثر تصلب البيئة (الاجتماعية، الاقتصادية ، الثقافية)على سلوكات المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين القادمين من جنوب و وسط القارة إلى شمالها ؟

2/ تم الاعتماد على المقابلة كأداة للبحث و تضمنت الأسئلة المحاور التالية :

1-ظروف الهجرة و أسبابها والهدف منها .

2-الجانب الاجتماعي يتضمن أسئلة مرتبطة ببيانات شخصية و أسئلة متعلقة بالحياة الاجتماعية للمبحوث في البيئة الجديدة و المشاكل التي يعاني منها .

3/ الجانب الثقافي يتضمن أسئلة بخصوص عادات و تقاليد و لغة المبحوث و نمط حياته الثقافي و ماذا يعرف عن ثقافة المجتمع الجديد و كيف يتعامل مع هذه الثقافة وهل لديه قابلية للانصهار و التأقلم معها .

4/ الجانب الاقتصادي يحتوي على مجموعة أسئلة بخصوص البيئة الاقتصادية و ظروفها قبل و بعد الهجرة و المشاكل التي يعاني منها المبحوثين أيضا .

5/ الجانب الانحرافي يتضمن أسئلة حول الانحرافات التي يقوم بها هؤلاء المهاجرون وهل هذه الانحرافات هي وليدة البيئة الجديدة أم جاءوا بها من مواطنهم الأصلية و إذا كانت وليدة البيئة الجديدة كيف اكتسبوها ؟

6/ الجانب النفسي ومدى تأثيره على الانحراف :في هذا الجزء من الأسئلة ركزنا على التأثير الذي تمارسه البيئة الاجتماعية ،الاقتصادية و الثقافية على الجانب النفسي للمهاجرين غير الشرعيين . و بالنسبة لهذه العوامل النفسية كيف تدفعهم إلى الانحراف و علاقة هذه المشاكل النفسية (الإحباط و مسبباته) بالانحراف .

1/ **الجانب الاجتماعي :** (بيانات شخصية ، المشاكل الاجتماعية المختلفة)

1-البيانات الشخصية تمثلت في البلد ، العمر ، الحالة الاجتماعية ، عدد أفراد الأسرة ، المستوى الدراسي ، الوظيفة ، الديانة .

2-هل تعاني من مشاكل اجتماعية هنا (المجتمع الوهراني) ؟

3-كيف هي نظرة سكان المجتمع الوهراني اتجاهك ؟

4-هل تعتقد انك مهمش هنا ؟ و هل يتقبل مجتمعنا أسلوبك في الحياة اليومية ؟

" ارتكزت أجوبتهم المتعلقة بالمجال الاجتماعي و مشاكله حول (الاعتداءات و السرقة) سواءا من بعض فئات الشباب هنا أو من طرف مهاجرين غير الشرعيين مثلهم أحيانا ، و غياب الأمن أحيانا لأنهم مقيمون بطريقة غير شرعية كما أن نظرة المجتمع سلبية (الوصم) ".

2/ الجانب الاقتصادي :

1-هل الدخل الذي تتقاضاه كعامل يومي هنا في الجزائر كافي لأحداث تغيير أو تحسين في نمط معيشتك ؟

2-هل تعتقد أن غياب الدخل يدفع بالضرورة إلى الانحراف ؟

3-من وجهة نظرك هل تعتقد أن الفقر عامل من عوامل الانحراف ؟

4-كيف هو حال أوضاعك الاقتصادية هنا ؟ و هل توجد فرص عمل ؟

" يظهر تصلب البيئة الاقتصادية من خلال انخفاض مستوى الدخل الفردي في المجتمع الوهراني على عكس توقعات هؤلاء المغتربين نظرا لصعوبة العمل و نذرته أحيانا و عدم كفاية الأجر اليومي لتحقيق الهداف من وراء الهجرة و كلها عوامل من شانها ظهور انحرافات مثل السرقة ، تجارة المخدرات ، تجارة المسروقات (الهواتف ، الأغراض) خاصة و أن البيئة التي يقيمون فيها تعتبر أرضية مناسبة لهذه الأعمال و للنشاطات (الأحياء القصديرية) ".

3/ الجانب الثقافي :

1-ماذا تعرف عن ثقافة المجتمع الجزائري ؟ وهل تأقلمت معها ؟

2-هل لديك عادات تتمسك بها رغم انك تعيش في مجتمع مختلف ؟

3-بمجرد انك تعيش هنا هل تعتبر نفسك جزء من هذا المجتمع أم تشعر انك غريب داخله ؟

4-ماذا ستختار أن تتمسك بقيمك و عاداتك أو تنصهر وفق معايير مجتمعنا ؟

5-هل لديك مشاكل بخصوص اللغة و الديانة ؟

" بالنسبة لما يعرفونه عن المجتمع الجزائري، فان المبحوثين لا يعرفون الشيء الكثير و تتحكم مجموعة عوامل في مدى انصهارهم مع ثقافة المجتمع الجزائري فالمهاجرين المقيمين لمدة طويلة يعرفون أكثر من غيرهم ولا يواجهون صعوبات و بالنسبة للعادات و التقاليد فان اغلب المبحوثين متأثرين بثقافة المجتمع الجزائري مع التمسك بأسلوب عيشهم البسيط . ماعدا بعض الحالات التي تنحرف عن هذا السياق."

" يتمثل تصلب البيئة الثقافية بالنسبة للمبحوثين في مشاكل عديدة منها مشاكل اللغة و التواصل و أيضا فيما بينهم هناك بعض الصراعات و التي سببها التقليد و القيام بأشياء جديدة و تبني نمط حياة مغاير و أيضا تقاسم المسكن مع مغتربين من جنسيات مختلفة بسبب مشاكل و صعوبات للتأقلم و هناك حالات لديها ثقافات خاصة بها (ثقافات فرعية) و هي الحالات 1 و 3 و 8 و 2 و هي منبوذة و هناك حالة رقم 9 على الرغم من انه مقلد إلا انه غير منبوذ لأسباب أهمها أن درجة التقليد لديه اقل من غيره و أيضا الجماعة التي يتقاسم

معها حياته اليومية درجة تفاعلها مع سلوكاته اقل حدة من سابقيه ، إذا فالاختلاط مع أشخاص من ثقافات مختلفة و تبني قيم ترفضها الجماعة ومشاكل التواصل كلها عوامل تعبر على تصلب البيئة الثقافية ".

" يعاني بعض المبحوثون من مشاكل في التواصل (غامبيا خاصة) نظرا لأنهم يتحدثون الانجليزية فقط ".

4/ الجانب النفسي :

1-هل شعرت بالإحباط ووصلت إلى مرحلة اليأس من قبل ؟ كيف وصلت إلى هذه المرحلة و ما هي العوامل الرئيسية المتسببة في ذلك ؟ و كيف تعاملت مع الوضع ؟

" يتجلى تأثير البيئة على الجانب النفسي من خلال الإحباط الذي يصاب به بعض المبحوثين لدرجة أنهم يضطرون للقيام بسلوكات منحرفة و قد تأتي تلك السلوكات كردود أفعال لما يتعرضون له عند دخولهم للجزائر ، فاغلب المبحوثين يتعرضون للمضايقات و السرقة و الاعتداءات و هذا ما يصيبهم بالإحباط أحيانا خاصة عندما تجتمع هذه العوامل مع عوامل اقتصادية أخرى .

5/ الجانب الانحرافي :

1-هل تنشط في أي مجال عملي له علاقة بانحراف معين ؟

2-هل تقوم بأي سلوك انحرافي (التعاطي ، السرقة ، التردد على دور الدعارة ، العنف ، قطع الطريق ، النصب و الاحتيال) ؟ و لماذا ؟

" أما بالنسبة للانحرافات التي يقومون بها فتتمثل في :

1/ تعاطي المخدرات بالخصوص الحشيش (انحراف اغلب الحالات جاءوا به من مواطنهم الأصلية حيث يعتبر تعاطي الحشيش أمرا عاديا في ثقافتهم خاصة الغامبيين الأغلبية يتعاطونه) و هناك أنواع مخدرات تم تعلمها هنا كتعاطي الحبوب المهلوسة .

2/ انحرافات مرتبطة بالجانب الاقتصادي (كالسرقة و ترويج المخدرات) و هذه الانحرافات تغديها دوافع مادية .

3/ زيارة بيوت دعارة خاصة بهم فقط أي أن هناك انحرافات أخرى تغديها الدوافع المادية وهنا يظهر تأثير البيئة الاقتصادية .

4/ عدم الالتزام بالشعائر الدينية بالنسبة لبعض الحالات كالصوم و هذا بسبب أن هؤلاء المهاجرين يشعرون بنوع من الحرية و عدم الإلزام رغم أنهم كانوا ملتزمين بهذه الأمور في بلدانهم الأصلية

5/ العنف و العدوان و موجهات هذه الأفعال تراكمات و أحيانا تأتي كردود فعل توجهها النزعة الانتقامية.

6/ تشكيل جماعات منحرفة أهدافها مادية .

خاتمة عامة:

لقد كانت انطلاقة دراستنا للبحث و معرفة التأثير الذي تمارسه البيئة بمختلف أبعادها الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية على سلوكات المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين القادمين من وسط القارة من غامبيا و مالي و غينيا الاستوائية إلى الشمال و بالتحديد الجزائر ، فالبيئة الجديدة لها خصائصها و مميزاتها التي قد تختلف عن الموطن الأصلي للمهاجر غير الشرعي في عدة جوانب أهمها أسلوب الحياة و النشاطات التي تضمن الدخل و الثقافة أيضا و كل هذه الاختلافات قد تشكل تحديا بالنسبة للمهاجر خاصة و انه مغترب و مقيم بطريقة غير شرعية ، و مما لاشك فيه أن هذا المغترب لديه أهداف وتطلعات من وراء الهجرة يريد تحقيقها و يتجسد ذلك في محاولة فرضه لمكانة داخل المجتمع الذي يقيم فيه حديثا من خلال تفاعله و قيامه بادوار اجتماعية و هذه العوامل المحيطية المتمثلة في الأهداف الاجتماعية و ذلك التناقض بين الغاية و الوسيلة المتاحة لتحقيقها بالتفاعل مع دوافع داخلية كلها عوامل تؤثر على الأفعال الاجتماعية و السلوكات الخاصة بهؤلاء المغتربين فتظهر الانحرافات و في هذا السياق حاولنا تفسير السلوك الانحرافي بناءا على مجموعة نظريات أهمها اللامعيارية و نظرية الوصم ونظرية الصراع .

و عليه فان لتصلب البيئة بمختلف أبعادها (اجتماعيا ، اقتصاديا، ثقافيا) تأثير على سلوكات المهاجرين غير الشرعيين ، و نسبة التأثير متفاوتة من شخص لأخر و تتحكم فيها عوامل خاصة بشخصية الفرد والظروف التي كان يعيشها في موطنه الأصلي ، فكلما كانت الأوضاع المعيشية للمغترب في موطنه الصالي صعبة بأنه يمتلك قابلية للتأقلم أكثر من

غيره وأيضا تتحكم العوامل الثقافية في القدرة على التكيف فالمغترب القادم من مالي يتأقلم أكثر من ذلك القادم من غامبيا و بالنسبة للجانب الاقتصادي فان البيئة الاقتصادية لها تأثير على المغتربين ، حيث أن التأقلم مع مجتمع جديد و محاولة فرض مكانة و إيجاد عمل يعتبر تحدي كبير بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين .

وتعتبر ظاهرة الانحراف معقدة و تفسيرها يتطلب الإلمام بمجموعة عوامل أخرى و رغم ذلك يبقى المجال مفتوحا للمزيد من الدراسات من زوايا مختلفة و أكثر شمولية .

و في الأخير نتمنى أن تكون دراستنا المتواضعة قد حققت جزءا بسيطا مما كنا نطمح إليه ألا و هو فتح مجال للاهتمام بالسلوك الانحرافي للمهاجرين غير الشرعيين القادمين إلى الجزائر كونها بوابة للقارة الإفريقية نحو أوروبا و لهذه الظاهرة مجال واسع للدراسة و البحث العلمي .

نتائج الدراسة

بالنسبة للجانب الاقتصادي من كانوا يعيشون أوضاع مزرية في بلدانهم الأصلية لديهم في الأغلب القابلية للتأقلم مع الوضع الجديد

- بحثا عن الدخل و التغيير و الربح الإضافي، يقومون بانحرافات في إطار العمل كالغش ، الخروج قبل الوقت ، الاحتيال .

-من يعانون من مشاكل في العمل (مجالات العمل لا تناسبهم ولا يستطيعون التأقلم معها) ، يلجئون إلى الانحراف لتوفير حاجياتهم ، فيقومون بأعمال انحرافية (كالسرقة و ترويج المخدرات) لأنهم يعتبرون الجزائر جسر عبور فقط فإنهم يمارسون أي نشاط و إن كان انحرافا المهم تحقيق الدخل .

-بالنسبة للجانب الثقافي فان الماليين أكثر قابلية للتأقلم من غيرهم أما الغامبيين يواجهون مشكلات سببها اللغة بدرجة أولى .

-من يتواصلون باللغة الانجليزية يستغرقون مدة للتأقلم أكثر من غيرهم .

-الديانة تلعب دورا أيضا ، المسيحيين أكثر عرضة للمشاكل و منبوذين حتى من أبناء بلدتهم لذلك اغلبهم يتظاهرون بالإسلام .

-خاصية العنف موجهاتها ردود فعل و نزعتها انتقامية .

-التعاطي بنسبة كبيرة عادة جاءوا بها من بلدانهم الأصلي (مثال على ذلك الغامبيين و تعاطيهم المفرط للحشيش) راجع ذلك لتأثرهم بنجوم موسيقى الراب الأمريكية .

-هنا في المجتمع المستقبل الجديد توصلوا إلى اكتشاف ظاهرة جديدة في مجال التعاطي (الحبوب المهلوسة) .

- الجزائر هي مجرد بوابة عبور إلى اروبا عند اغلبهم.

- ملاحقات من طرف الأمن خلال مداهمتهم الأحياء القصديرية لان اغلبهم يعيشون فيها.

الجدول السوسيومهني لحالات الدراسة

الحالة	البلد	العمر	الحالة الاجتماعية	عدد أفراد الأسرة	المستوى الدراسي	الوظيفة	الديانة
1	مالي	22	أعزب	5	لم يدرس	النجارة	مسلم
2	مالي	17	أعزب	3	مدرسة قرآنية	لا يعمل	مسلم
3	مالي	24	أعزب	7	لم يدرس	عامل يومي	مسلم
4	غينيا	31	أعزب	2اخوة	تعليم إعدادي فقط	عامل في مجال البناء	مسلم
5	غينيا	28	متزوج	6 أفراد	مدرسة قرآنية	لا يعمل	مسلم
6	غينيا	25	أعزب	8 أخوة	بكالوريوس	لحام+ جندي سابق	مسلم
7	غامبيا	29	متزوج	3 أفراد	لم يدرس	لا يعمل	مسلم
8	غامبيا	33	أعزب	2اخوة إناث	إعدادي	جندي سابق لا يعمل	لا يؤمن باي ديانة
9	غامبيا	19	أعزب	5 أخوة	إعدادي+مدرسة قرآنية	لا يعمل	مسلم
10	غامبيا	30	متزوج	4 أفراد	لم يدرس	عامل(عمل غير محدد)	مسلم

الكتب

ا –باللغة العربية:

1.إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دار وائل للنشر الطبعة الثالثة 2015

2.احمد عزت رابح ،أصول علم النفس، الطبعة السابعة ،دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة 1968

3.أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصياغ ،علم الاجتماع مع مدخلات عربية ،المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى أكتوبر 2005

4.أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس ،ترجمة محمد الحسين غلوم مراجعة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت ابريل 1990

5.بسام محمد أبو عليان، انحراف الاجتماعي و الجريمة ،جماعة الأقصى، الطبعة الثالثة 2016

6.بيار بورديو، أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة و السلطة و العنف الرمزي، ترجمة و تقديم إبراهيم الفتحي،الطبعة الأولى ،1995 دار العالم الثالث القاهرة.

7. بيار بوردي، بعبارة أخرى محاولات باتجاه سوسيولوجيا الانعكاسية، ترجمة احمد حسان الطبعة الأولى 2002،ميرت للنشر و المعلومات، شارع قصر النيل القاهرة .

8.بيار بورديو و جان كلود باسرون،إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش مراجعة سعود المولى ، الطبعة الأولى نوفمبر 2017،بيروت .

9.جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع دار المعرفة الجامعية

10.جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسي،ترجمة محمد عثمان الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2009